

الفصل الثاني

الحركة العربية

في العهد الفيصلي في الشام

الدور الاول ١ تشرين اول ١٩١٨ - ٧ مارس ١٩٢٠

- ١ -

الحركة العربية في عهد جديد

وبانتهاء الحرب العالمية وانفصال البلاد العربية العثمانية عن الدولة في اواخر عام ١٩١٨ دخلت الحركة العربية في ساحة جديدة ، تقلبت فيها على ادوار عديدة واطوار متنوعة ، من انقصاد وفتور ونشاط وتوقف ، وجذب ودفع ، ومناوأة ونضال ، وآلام وآمال بسبب ما تعرضت له هذه البلاد من احداث ، وبتعبير ادق بسبب ما ظهر من حلفاء العرب من نكث وغدر .

ولقد كان من المأمول ان يشتد تيار الفكرة العربية قوة حتى تصبح سائفة مفهومة ، ثم تأخذ صفة العقيدة العامة في بلاد العرب ، وتتجاوز افق المشرق العربي إلى المغرب العربي ايضاً ، وحتى تصبح الناظم للحركات السياسية في جميع بلاد العرب وتتحقق اهدافها كاملة في مدة اقصر من المدة التي استغرقها تطورها امثالها في بلاد اخرى بعد ما كان من نجاحها في المدة القصيرة التي مرت عليها في عهد الدولة العثمانية ما كان ، لو حسنت نيات اولئك الحلفاء ، وقابلوا العرب على اخلاصهم باخلاص ، ولم يقيموا ما اقاموه من عقبات ، ولم يجروا ما اجرروه من تيارات معاكسة للفكرة ومناوئة لها بشتى الأشكال وفي مختلف المواطن العربية ، او لو لم يكن ذلك النقص الكبير في الثورة العربية الذي اشرنا اليه ، ورددنا ما ناب العرب اليه ، والذي تمثل في عدم وجود وبقاء قوى عربية كافية مسلحة مستعدة للاستمرار في نضالها الى ان تتحقق الأهداف التي استهدفتها الثورة او تحمل الحلفاء على مسايرة العرب فيها وعدم التنكر لها والاستهانة بها .

فطورة عهد الشام

واول الكلام في حدد هذه الساحة الجديدة يجب ان يكون في عهد فيصل في الشام . وقد كان استمراراً للثورة التي توجت الحركة العربية بها ، وكان فيصل ابرز قوادها ، وخاصة من حيث ان حملته ضمت عدداً غير قليل من رجال الحركة العراقيين والشاميين اولاً ، وانها كانت الوحيدة التي خرجت من الحجاز الى البلاد التي كانت مسرح الفكرة ومجال حركتها في عهد الدولة العثمانية ثانياً . ولقد ازدادت خطورة هذا العهد وخطورة واجبات رجاله بما واجهته البلاد العربية المذكورة من احداث وأخطار .

فقد احتل الانكليز اكثر العراق قبل الهدنة ، واخذوا يحكمونه حكماً عسكرياً هندياً ، ويرسمون الخطط لترسيخ اقدامهم الاستعمارية فيه . واحتلوا كذلك فلسطين وحكموها هي الاخرى حكماً عسكرياً ، وحاولوا ان يعزلوها عن سائر بلاد العرب ويجعلوها تحت سلطتهم المباشرة من جهة ، وعرف من جهة اخرى ما كان صدر منهم من تصريح بلفور المشؤوم ، واخذت زبدو بوادر السير في السياسة اليهودية ، وتسمع من زعماء اليهود تصريحات تدل على ما يرمون اليه من بعيد المطامع ومخيف المرامي . وبعد ان رفع العلم العربي على ربوع لبنان والسواحل السورية وقامت فيها حكومة عربية باسم فيصل جاءت الفصائل الافرنسية فاحتلتها ، واخذت تحكّمها حكماً عسكرياً من جهة وترسم الخطط التي ترسخ بها اقدام فرنسا الاستعمارية فيها من جهة ، وتكون رقبة الجسر الذي تقفز منه الى سوريا الداخلية وتشملها بنفوذها من جهة وتتاوى الحركة العربية في البلاد الشامية داخلاً وساحلاً من جهة . وما لبث الناس ان عرفوا ان هذا جميعه كان نتيجة للاتفاق المشؤوم المعروف باتفاق سايكس بيكو الذي خان الحلفاء والانكليز خاصة به العرب وعهودهم لهم بواسطة الحسين ولما يجف مداها ، والذي جعلت به سوريا الساحلية ولبنان منطقة استعمار افرنسية وسوريا الداخلية منطقة نفوذ افرنسية ، وشرق الاردن منطقة نفوذ انكليزية ، والعراق منطقة نفوذ واستعمار انكليزية ، وفلسطين منطقة دولية كان

وعد بلفور وسيلة ماكرة لتبديل هذه الصفة عنها .

ولم يبق ما يمثل الثورة العربية والحركة العربية والآمال العربية والدماء العربية غير الحجاز ، وغير سوريا الداخلية التي قامت فيها حكومة عربية عسكرية على رأسها فيصل ، والتي كان العلم العربي المربع الالوان يتموج فوقها وحدها (١) .

وبسبب ذلك كله صارت دمشق مزدحم اقدام رجال الحركة العربية السياسيين والشباب العرب من عراقيين وسوريين ولبنانيين وفلسطينيين ، ومناطق املمم . فنشطت فيها الحركة العربية نشاطاً عظيماً ، وغدت مركزاً للعمل على متابعة الحركة والنضال ومناوأة ما اخذ يبدو من مظاهر الغدر والمطامع والدسائس والالاعيب .

ولقد كان من اثر هذا النشاط من جهة ، ومن اثر ما احدثته بوادر الغدر في انحاء البلاد الشامية والعراقية الاخرى من رد فعل اليم من جهة ثانية ان صار العرب في هذه الانحاء يرون في دمشق وعمدها وفيصل وشخصيته مناط الأمل وموضع الرجاء ، وأن غدت دمشق عاصمة العرب الخالدة - متجههم الذي يتجهون اليه ، ويتعلقون بأحداثه وحركاته واخباره ، وتنتعش بما هو قائم فيها من حركة جياشة ومظاهر قومية قوية آمالمم التي كادت تتعظم أو بالأحرى كانت تتعظم بما رأوا ما يوشك ان يحل فيهم من بلاء عصب وظلام رهيب .

- ٣ -

مشور فيصل والحكم العربي في الشام

وبعد خمسة ايام من دخول فيصل للشام اي في ٥ تشرين الأول سنة ١٩١٨ اذاع منشوراً بتوقيع الشريف فيصل شكر فيه الشعب السوري على ما ابداه من العطف وحسن القبول لجيوشه المنصورة والمساعدة للبيعة باسم مولانا السلطان امير المؤمنين الشريف حسين ثم اعلنهم تشكيل حكومة مستقلة استقلالاً مطلقاً لاشائبة فيه باسم السلطان حسين شاملة جميع البلاد السورية ، وتوسيد القيادة العامة للحكومة

(١) لم يرتفع على لبنان والساحل وفلسطين علم ما .

الى السيد رضا الركابي (١) ، وتشكيل ادارة عرفية للنظر في الامور التي يجلبها اليها القائد العام ؛ ثم رعى الشعب بالسكون والطاعة وحسن الانقياد حتى يثبت انه اهل للاستقلال ، وانذر المشافين والهاافين ، وقرر ان الحكومة قد تأسست على قاعدة المساواة والعدالة وانها ستنظر الى جميع الناطقين بالضاد على اختلاف مذاهبهم واديانهم نظراً واحداً لا تفرق في الحقوق بين المسلم والمسيحي والموسوي .

ولا ندري هل كان فيصل يدرك مدى وضعه الفني الذي هو به قائد من قواد الحلفاء وتابع لقائد الحلفاء العام يتلقى منه الأوامر والتعليمات أو مدى وضع سوريا السياسي حينما اذاع منشوره المذكور وشيء من هذا السؤال وارد في صدر إعلان تشكيل حكومة سورية دستورية مستقلة إستقلالاً مطلقاً وشاملة جميع البلاد السورية باسم السلطان امير المؤمنين ؛ والذي نعتقده انه لم يعن بهذه النقاط لأول وهلة . وأنه اذاع منشوره مستوحياً بما كان من عهود مقطوعة لوالده وبأنه قائد من قواد والده في الدرجة الأولى ، وبما كان من نجاح حملته ودخوله الشام دخول الفاتح الظافر ، وما أثار نجاح حملته ودخوله من حماس وأمل ولقيه من حسن ترحيب واستقبال حافل . ومن الجدير بالذكر أن المنشور أذيع في لبنان والسياحل باسم فيصل والملك حسين وقبل ان تطوى الاعلام العربية من سماء هذه البقاع ؛ فكان ذلك على ما هو المتبادر يعني في ما يعنيه شمول الحكم العربي الشريف على جميع أنحاء سوريا باستثناء القسم الغربي من الأردن أي فلسطين ، كما ان من الممكن ان يكون بما أوحى باعلان الشمول على الوجه الذي أعلنه .

وعلى كل حال فإن في المنشور محاولة لاحداث أمر واقع اعتبره فيصل ومستشاروه شيئاً طبيعياً ومعقولاً سواء كانوا مدركين لجميع نواحيه أو جاء عملهم ارتجالياً . ومن المؤسف أنه لم يكن ليفصل قوة فيها بعض القناء تدعم هذه المحاولة الطبيعية المعقولة . ولو كان له ذلك أو لو تبسر ذلك في المدة التي وجد فيها في الشام اسكان من المحتمل كثيراً أن يتغير مجرى الحوادث في سورية الداخلية على الأقل .

(١) رضا الركابي كان جنرال اركان حرب في الجيش العثماني، وكان بوج بتوقع الحاكم العسكري العام او الحاكم العام وليس القائد العام .

ولا نعرف ماذا كان موقف الحلفاء الذين بيتوا الغدر واتفقوا عليه ازاء ذلك؛ ولكننا نعرف ان القائد العام ظل يعتبر فيصلاً قائداً تابعاً له يصدر له التعليمات والأوامر، وأن فيصلاً كان يرجع إليه في مهام الأمور . وعلى هذا فاما ان يكونوا قد أبلغوا فيصلاً أن منشوره لاحكم له فسكت على مضض وصدمة الحقائق الأليمة ولا سيما بعد ان اضطر الى تقويض دعائم حكومة بيروت العربية وطى العلم العربي من اجواء لبنان والسواحل ، واحتلال الافرنسيين هذه البقاع ؛ وهو ما نرجعه ، وإما أنهم لم يأبهوا له لأنه لم يكن من شأنه تغيير حقيقة الواقع في نظرم ولا سيما أنهم مدركون أنهم المسيطرون على الموقف ، وان الحاجة ماسة إليهم في كل شيء ...

ومهما يكن من امر فإن فيصلاً ومستشاريه استمروا في الظاهر في السير بعض الشيء في نطاق محاولتهم ؛ حيث ظل فيصل معتبراً بمثابة رئيس دولة عربية مستقلة ، ومصدر قوتها الأعلى ، تصدر عنه الأوامر والمراسيم والتعليمات ، وتدور في ظله اداة الحكومة والحركة العربية معاً . وقد احيط بما يقتضيه هذا الاعتبار من أبهة الملك وبلاطه ومراسمه ، فكان قصره يسمى « البلاط » وكان له ديوان وحجاب وتشريفاتيون النخ ...

وقد انشئ دوائر حكومية مدنية رئيسية يقوم عليها مديرون ويجمعون برآسة الحاكم العام كـ مجلس مديرين للتداول والبث في شتى شؤون الدولة ، وأعيد تنظيم فروع الادارة في العاصمة والملحقات التي كانت تشمل مناطق دمشق وحلب وحماه وحمص وحموران وجبل الدروز والكرك والسلط على انقاض الادارة العثمانية ووفق قوانينها . وحوول فيما حوول انشاء جيش عربي او بالاحرى نواة جيش عربي لأن فصائل الثورة لم تلبث ان انحلت على ما قلناه قبل . وقد كان هذا من الأمور التي أهمت القائمين بالعهد لشعورهم الشديد بالحاجة إلى جيش يدعم العهد ويساعده على السير في الخطوات التي تحقق أمل العرب وأهداف ثورتهم . وكان الانكليز يضعون العراقل المتنوعة في طريق هذا المشروع ، وكانوا قادرين على الايجاب والسلب في هذا الشأن لأنهم كانوا المصدر الرئيسي تقريباً لتمويل الحكومة العربية وتمويلها ، لما كانوا يحسبونه من عواقب في صدد السير في نهطهم المبيته ، ولم يكن للعرب في عهدهم الجديد مصادر أخرى تسد حاجتهم . وهذا بما

جعل هذا المشروع خاصة يسير سيراً متعتراً لا غناء فيه . ومها يكن من أمر فان هذه الثغرة كانت من ثغرات هذا العهد وظروفه بل ورجاله ، لأنه لم يكن من المستحيل ان يفعل شيء ما لو بذل جهد قوي وعزم شديد وبصر شديد . ولقد كانت قيادة الحلفاء العامة تدفع للحكومة العربية مخصصات شهرية كبيرة تبلغ على ما اذكر مئة وخمسين الف جنيه مصرية في الشهر باسم حصة سورية من الجمارك ، وكان يجبي الى هذا مبالغ غير يسيرة من الضرائب المتنوعة في مناطق هذه الحكومة ، وقد كانت مبالغ يسيرة تنفق جزافاً أو كالجزاف كان في الامكان ان تختصر ويدبر امر التسليح بالمتوفر بطريقة ما . ولا مناص من ان نقول ان الانكليز ظلوا معتمد العرب ومستنصحيهم ومرجعهم ومستلهمهم رغم ما كان يبدو منهم من بوادر تثير الريب والشكوك في النفس ، وكان هذا كذلك من الثغرات المهمة في هذا العهد ورجاله .

هذا ومن الحق ان نذكر ان الحكومة العربية بالرغم مما ظهر من واقع طابعها العسكري والموقت ومن وضع سوريا السياسي الحائر ، وبالرغم من الظروف والتيارات المتنوعة التي كانت تنقاذها قد أخذت تسير في سبيل التنظيم والاصلاح سيراً حثيثاً . وقد كان لذلك ثمرات تبشر بالأمل في مختلف الفروع وخاصة في الادارة والتعليم . وفي هذا العهد أنشئت الجامعة السورية العربية في دمشق وأصبحت مهلاً لطلاب العرب على اختلاف بلادهم .

- ٤ -

جمعية الفتاة العربية في العهد الجريه

ولقد نشطت جمعية الفتاة في هذا العهد نشاطاً كبيراً . فتوطدت لها حياة مركزية من البارزين من أعضائها . وأخذت توسع دائرتها وتقوي دسها ، وقلشيه فروعاً لها في سوريا الداخلية وغيرها من انحاء الشام ، وتصل برجالها المتخلفين في انحاء البلاد الأخرى في سبيل تقوية العزم وإثارة العاطفة والتضامن على السير في اتجاه موحد . وقد انشأت فرعاً للدعاية والاستخبارات ، وأخذ هذا الفرع من



ذكرى في احدى ضواحي دمشق ٢٠ مايس ١٩٢٠

- ١- وسفي الاقاسي
- ٢- عادل العظمة
- ٣- احمد بيوت
- ٤- رشيد الحامي
- ٥- شكري القوزلي
- ٦- رياض الصلح
- ٧- المير بهجت الشامي
- ٨- المير مصطفى الشامي
- ٩- سعد الله الجابري
- ١٠- عفيف الصلح
- ١١- مسام العطار
- ١٢- عزة دروزة
- ١٣- زكي النسيب
- ١٤- حسني البرازي
- ١٥- توفيق جالمي
- ١٦- المير فايز الشامي
- ١٧- رفيق النسيب
- ١٨- الدكتور احمد فقيري
- ١٩- عوني عبد الحادي
- ٢٠- معين الماضي
- ٢١- توفيق البازجي
- ٢٢- الدكتور سعيد طليم

فاحته ينشئ الفروع والوكالات في مختلف الانحاء، ويفذها بالأخبار والتوجيهات،
 ويتلقى عنها التقارير والأخبار في صدد ما كان يجري في مناطقها من مختلف
 التيارات والأحداث والحركات الداخلية والخارجية . وكان يتيسر للفتاة
 مساعدات مالية من فيصل تسمح لها بهذا النشاط وتسمح بالإضافة إليه بمد اليد بالمساعدات
 إلى بعض المنظمات والأندية الأدبية والسياسية العربية التي كانت تعمل في الاتجاه
 العربي في بيئتها . وهكذا دارت دورة الدم القومي حية قوية بقدر ما تسمح به
 الظروف والإمكانات عن طريقها ؛ بل ولقد غدت بمثابة صاحبة العهد أو متبنيته ؛
 أي انها كانت القوة المؤثرة الفعالة في جل مظاهر العهد وأحداثه إن لم يكن كلها .
 فالرأس الأول فيصل كان منها، وكان البارزون من بطانته ورجال قصره منها ؛
 وكان هو شديد الاتصال بهيئتها المركزية وبكثير من أعضائها حتى أنه لم يكذب بخلو
 من بعضهم في جميع ساعات يقظته ؛ ولم يكن يقطع بشأن أو يهم بعمل أو يصدر
 أمراً الا ويكون لهم رأي أو يد فيه أو علم به تقريباً : كما ان الهيئة المركزية كانت
 تقدم الاقتراحات وتبلغ القرارات في شتى الشؤون السياسية والإدارية والتنظيمية
 له أحياناً ولمن حوله من أعضائها أحياناً بقصد الترويج والتيسير والتوجيه وكان
 رئيس الحكومة أو الحاكم العسكري رضا الركابي الذي ظل في منصبه جل مدة
 العهد منها ؛ وكان منها كذلك رئيس الجيش الذي كان يسمى المستشار الحربي وهو
 ياسين الهاشمي . وهذان هما المنصبان المهان في العهد قبل اعلان الاستقلال في ٨ آذار
 ١٩٢٠ . وما قلناه في صلات فيصل بالفتاة وهيئتها ورجالها يمكن ان يقال ايضاً بالنسبة
 لها ؛ فقد كان الاتصال مستمراً بينها وبين الهيئة ، بل كان يصدق ان يكون كلاهما
 أحياناً أو احدهما عضواً فيها ، وكانت تقدم الاقتراحات وتبلغ القرارات اليها في
 شؤون الحكومة والعهد المختلفة الإدارية والتنظيمية والدعائية وفي توسيع الموظفين
 وخاصة كبارهم . وكان عدد غير قليل من كبار الموظفين من أعضاء الجمعية فكانوا
 اعواناً على تنفيذ مقترحات الهيئة وتوجيه الامور في الاتجاه الذي تقرره .
 ولقد اهتمت لضم كبار الذين وسدت اليهم مصالح الحكومة في العاصمة
 والملحقات الى عضويتها ، واستمر هذا الاهتمام واتسع نطاقه وراء فكرة جعل
 موظفي الدولة الكبار والمهمين ولا سيما في العاصمة من المنتسبين اليها والداخلين في
 نطاقها ؛ وبالتالي وراء فكرة الهيمنة على دوائر الدولة من جهة وكون الموظفين

او المستوظفين هم على الاغلب الفئة المثقفة التي تصلح لاشغال الصفوف الامامية في الحركة القومية ، والعمل على تحقيق اهدافها في نطاق دوائر الدولة وسلطانها من جهة اخرى . فأخذت تضم اليها وعلى الطريقة التي سارت عليها في عهد الدولة العثمانية والتي شرحناها قبل من ترى فيه الأهلية الثقافية والذهنية والقومية ، وترشح للوظائف الشاغرة من تراه من المنضمين ؛ ولقد اشتدت هذه الرغبة الى ان خرجت عن حدها السائغ المعقول . فقد كان يرشح احياناً للعمل الحكومي بعض الاشخاص من جانب الأمير او رئيس الحكومة او من جانب له اعتبار ، ويرى الأمير او رئيس الحكومة ضرورة الى تعيين المبتدئين ، وكان اشخاص لهم وجاهتهم ومكانتهم في مكان ما ، ويرى من المناسب اسناد منصب اليهم ؛ وترى الهيئة المركزية ان تعيينهم امر مبرم ، فتسارع الى الاتصال بهم ومفاتحتهم وتحليفهم اليمين وضمهم اليها رسمياً .

ومن الحق ان يسجل على الفتاة انها ضمت اليها عدداً غير قليل بسائق هذه الرغبة وتلك الفكرة ، وبتساهل غير متزن واكثر مما تسوغه خطورة الجمعية ، وكان منهم المائع في اخلاقه وروحه وقلبه ووطنيته والانتهازي للفرص ، ومن هنا يفهم سرّ كون كثير منهم بقوا في وظائفهم وسايروا ادوار الاحتلال الافرنسي بعد انهيار العهد ، ولم يظهر فيهم احساس بالواجب القومي والنضال في سبيله او على الاقل مساعدة المناضلين بالقدر الذي يدليقونه ، بل ولقد كان منهم من اندمج في فصول بغيضة لعبها المستعمر الباغي ، ومنهم من كان ممثلاً رئيسياً فيها .

ولم تقتصر رغبة الفتاة على ضم الموظفين والمستوظفين بهذه الطريقة الاربعالية بل سارت عليها في ضم اشخاص كانوا في تشكيلات اخرى وظهروا على المسرح اقوياء العارضة منساقه وراء فكرة ضم كل من فيه مزية ما لتكون محتكرة ولو بحسن نية للطبقة التي فيها قوة عارضة او مزية دافعة او نشاط وثقافة بقطع النظر عن الروح والمزاج فكان من امر بعض هؤلاء انهم لم يندمجوا في الفتاة قليلاً وباخلاص وحسن تواتق ، وظلوا فيها اجساماً غريبة ، ومنهم من جاهر بعدائها وعداء اخوانه فيها ، وظل يعتبر نفسه غريباً عنها معارضاً لها .

على ان هذا لم يمنع ان تكسب الفتاة في هذا العهد اعضاء جديدين من شبان وغير شبان وموظفين وغير موظفين بمن ازدحمت بهم دمشق سواء العائدون من

انحاء الدولة العثمانية التي كانوا مبعثرين فيها كموظفين وضباط او القادمون من انحاء البلاد العربية الاخرى للاشتراك او الاندماج في الحركة السياسية والنشاط الذي تمركز في دمشق زائراً جياً ، وثبتوا على التجربة والايام وفنوا في اهدافها وامتزجوا باخوانهم فيها امتزاجاً فيه كل الاخلاص ، وانطبعوا بطابعها وابلوا بالبلاء الحسن في ميادين الجهاد القومي التي قامت في مختلف انحاء البلاد العربية ومايزالون ، واحتلوا صفوف الحركة العربية الاولى ومايزالون ، ومنهم من فاق في هذا كله كثيراً من الاعضاء القديين ايضاً . واذا كان ليس في الوسع ايراد احصاء تام فاننا نستطيع ان نذكر جملة صالحة منهم لعلها تشمل اكثرهم وفيها مختلف الألوان التي وصفناها .

اسماء المضمين اليها في هذا العهد

هاشم الاتاسي حمص . ابراهيم هنانو حلب . يوسف العظمة دمشق . رشيد طليع لبنان . رضا الصلح بيروت . رياض الصلح بيروت . عفيف الصلح بيروت . عادل أرسلان لبنان . امين أرسلان لبنان . نبيه العظمة دمشق . عادل العظمة دمشق . ساطع الحصري حلب . احسان الجابري حلب . صبحي بوكات انطاكية . طه الهاشمي بغداد . جميل الالشي دمشق . فوزي الفزي دمشق . ناجي السويدي بغداد . مصطفى برمدا حلب . جعفر العسكري بغداد . خالد الشهابي حاصبيا . عبدالرحمن شهندي دمشق . سعيد طليع لبنان . رشيد رضا طرابلس الشام . صبحي الطويل لاذقية . يوسف ياسين لاذقية . عمر فرحات دمشق . محي الدين صادق دمشق . رشيد بقدرنس دمشق . مصطفى رصفي دمشق . احمد اللحام دمشق . مصطفى نعمة دمشق . يحيى حياقي دمشق . احمد حلمي عبدالباقي فلسطين . حسن الحكيم دمشق . سامي السراج حماه . مظهر رسلان حمص . خير الدين الزركلي دمشق . عبدالقادر الكيلاني حماه . حسني البرازي حماه . هاني ابو صلح لبنان . صبحي حيدر بعلبك . امين التميمي نابلس . وصفي الاتاسي حمص . صالح قنباز حماه . محمد البارودي حماه . توفيق الشيشكلي حماه . عبدالحميد القلطيبي دمشق . سعيد الحسيني قدس . عبداللطيف صلاح نابلس . عارف الخطيب دمشق . توفيق الحياقي حلب . محمود الفاعور . محمد علي دروزه

نابلس . توفيق اليبسار طرابلس الشام . عارف نكد لبنان . يوسف حيدر بعلبك .
مصطفى الشهابي دمشق . زكي الخطيب دمشق . تامر حمادة الهرمل . زكي قدرى
دمشق . سامي العظم دمشق . علاء الدين الدروبي حمص . جلال زهدي دمشق .
مسلم العطار دمشق . عبد الستار السندروسي طرابلس . محمد النحاس دمشق .
ابراهيم مجاهد حلب . رضا الرفاعي حلب . نجيب الارمنازي دمشق . مصطفى
الغلاييني بيروت . محمد خير جبلة .

- ٥ -

وقد احتفظت الجمعية بسريرتها من حيث المبدأ، غير ان اسمها بل وكثيراً من اعضائها
ونشاطها واثرها في العهد لم يبق سراً بكل معنى الكلمة ، وغيرت نهجها فصارت
تعقد اجتماعات شهرية عامة يشهد لها اعضاؤها القديمون فقط ، اي المنتسبون اليها في
زمن الدولة العثمانية الى الهدنة ، وسمي هؤلاء بالمؤسسين ، وكان يبحث في هذه
الاجتماعات مختلف الشؤون وتوجه فيها الانتقادات للهيئة المركزية وتطرح فيها
الثقة بها بحيث تسقط إذا لم تنل ثقة الاكثوية ويتجدد انتخابها . وحصر
حق هذا الانتخاب في المؤسسين كذلك ، وظل الاعضاء الجدد اي المنتسبون اليها
بعد الهدنة يتلقون قراراتها وتوجيهاتها بواسطة معتمد خاص تختاره الهيئة وحسب ،
وبذلك حفظ للجمعية بعض الوقار والخطورة والسرية .

حزب الاستقلال كظهير خارجي للجمعية

على ان الجمعية رأّت بعد حين وانسياقاً مع الظروف الجديدة ضرورة الى ايجاد
مظهر خارجي وعلمي لها ينشط في مختلف الميادين جهرة ، وينسع في الوقت نفسه
لضم اشخاص لا يحسن ان يكونوا في نطاق التشكيلة السريّة ولكن يحسن ان
تستفاد منهم ويتعاون معهم ، وينضمون الى ساحة نشاطها ويدخلون في دائرة
توجيهاتها فأنشأت في اوائل عام ١٩٤٠ حزباً وسمياً باسم حزب الاستقلال العربي
بيرونامج قومي يستهدف الوحدة العربية والاستقلال التام الشامل، وجعلت الانضمام
اليه تابعاً لبعض المراسم مثل التوشيح والتقريب والتحفيل والواجبات المالية ،
واوجبت على جميع اعضائها القديمين والجديدين الانتساب اليه، وفتحت باب الدخول

فيه بمقياس واسع نوعاً ما ، فلم يلبث ان قام الحزب قومي الاسم بادي النشاط كثير الاعضاء ، وان ادخل فيه كثير من الوجاه والاعيان وابناء الطبقات الاخرى الصالحين للعمل والنشاط فضلا عن اعضاء الجمعية ، وانتخبت له هيئة ادارية كثيرة العدد لتتسع لتمثيل اعضاء الحزب على مختلف فئاتهم ، ودخل في هذه الهيئة بعض اعضاء الهيئة المركزية للجمعية وبعض اعضاء الجمعية الاقوياء الموثوقين ، وأسس الارتباط قوياً وثيقاً بينهم وبين الهيئة المركزية ، بحيث تكون القرارات والاتجاهات والاعمال متوافقة متطابقة بين التشكيلتين أو بتعبير أرق بحيث تكون قرارات ومقترحات وحركات الحزب صدى لقرارات ومقترحات وتوجيهات الهيئة المركزية ، وهكذا دارت الالة الظاهرة قوية نشيطة ، واتجهت الانظار اليها وكان في ذلك وسيلة ثانية لحفظ سرية الفتاة حتى اخنطط الامر على الناس ، بل وكثير من خواصهم فلم يعودوا يفرقون بين الجمعية والحزب ، ثم لم يلبث أن نلب اسمه لانه هو الذي دار على الألسنة فملا الأسماع والأبصار ، ولا يزال الامر كذلك الى اليوم

- ٦ -

تيارات وعيريات في داخل الفتاة

ولقد كان من شأن النفوذ الذي تمتع به الفتاة في دوائر الامير والحكومة وفي ميادين النشاط والعمل والحركات الاخرى ، والذي صارت به كما قلنا صاحبة العهد أو متبنيته ان أوجد تيارات أو جبهات متنافسة في داخل الجمعية وخاصة في نطاق المؤسسين ، وكان من اثر ذلك أن سجل عليها بعض الاحداث الانشاقية التي ظلت مظاهرها وعواملها واثارها النفسية والمادية تنخر في جسمها ، وتظهر للعيان في مختلف المناسبات ، وأن ثبت بذلك أنه كان في داخل ذلك النطاق بعض العناصر التي اتبعت هواها ورضخت لانانيتيها ، وأظهرت إستعدادها للاندفاع وراء هواها وانانيتيها مما كان لها من نتائج خطيرة على كيان الجمعية التي اعتروا بها ، وبالتالي على حياة الفكرة والحركة التي اندمجوا فيها في عهد الدولة العثمانية . ولقد لعب الكيد والمكر والحسد والطمع دوره في هذا الميدان ، فكانت تتعدد الاجتماعات وتستخدم فيها المناقشات والانتقادات ، وتتجدد فيها الانتخابات بما هرز

بنيان الجمعية هزأ ، وقد عمل على تقوية هذا التنافس بعض الذين كان في أيديهم زمام الامور الرسمية الحكومية رغبة في إضفاف هيمنة الجمعية عليهم والتقليل من نفوذها وضغطها، ومقابلة لما أرادته بعض هيئات الجمعية من إحباط مشاريع شخصية استغلالية أراد هؤلاء الذين كان زمام الامور الرسمية في أيديهم تنفيذها لمنفعتهم ومنفعة بعض المتآمرين معهم من أبناء الفتاة . وبما يلفت النظر أن الذين مثلوا الدور السيء في هذا الموقف هم من الذين انضموا إلى الجمعية بسائق الضرورة وبان عوارهم في الطمع وحب الظهور والاستغلال منذ أول العهد الفيضي ، والذين كانت الجمعية وظلت عرضة للنقد والتجريح بسببهم . والقصد الذي نقصده من ذكر ذلك هو العبرة التي يجب أن يعتبر بها في صدد تأسيس التشكيلات وخاصة السرية الخطيرة ، ولذلك لم نشأ ولم نر من المصلحة أن نذكر وقائع وأسماء . فلا ينبغي والحق يقال أن يكون في التشكيلات الوطنية وخاصة الخطيرة والسرية الامن كانت أخلاقه الخاصة والعامة مضمونة مجربة فضلا عن التوافق المزاجي والافقي والخططي الذي هو ضروري جداً للانسجام والانتاج . وفي هذه الحالة عبوة أخرى حيث ظهر أن كثيراً منا لا يلبثون أن يتخلوا عن ما ظهروا به من حماس وإخلاص ونجده في بعض الظروف الحرجة حينما يبدو لهم في ظروف أخرى ميسورة مأكلة أو مطمع أو فرصة استغلال . ومن المؤسف إن هذا كثير الوقوع إلى الان بالرغم مما مر من الزمن ومردده الى ضعف بنيتنا الاخلاقية والاجتماعية .

ما أخذ على الفتاة في عهدها الجريد

وليس هذا كل ما يمكن أن يسجل على الجمعية من مأخذ وأحداث غير سليمة . فقد كانت ضعيفة في صدد توطيد النظام الصارم في بنائها، فلم تستطيع أن تستعمل الصرامة مع أعضائها الذين بان عوارهم ليس فقط في مجال الطمع والحد والظهور والاستغلال بل وفي مجال الاخلاص لمبادئ الجمعية وبينها وكيانها ، وخاصة في مجال الاتصال بالاجنبي والتعاون معه في سبيل النفع الخاص أو اصطناع البدأ في سبيل ما يسميه بعضهم اجتهاداً . فكيف أي تشكيلة وخاصة الخطيرة منها لا

يمكن أن يبقى قويا سليما الا إذا سير فيها بصرامة وحزم ، وخاصة مع الذين يحاولون إستغلالها أو يهدمون بنيانها أو يلوثون كرامتها أو يخونون مبادئها بصورة من الصور، كما أن الاجتهادات الخاصة والشخصية والفردية لا يجوز أن يكون لها مكان في مثل هذه التشكيلات بل وفي أي تشكيلة ، لان التضامن التام والفناء في المبادئ، والطاعة لقرارات السلطات العليا فيها هو جوهرى وشديد الخطورة في حيويتها وحياتها وقوتها وبقائها . ولعل هذا الضعف هو الذي أدى الى ما كان من طمع وحسد وحب ظهور واستغلال من بعض الاعضاء ومؤامرات ومكائد في داخل الجمعية . ولو سارت الجمعية بقوة وصرامة مع المنحرفين على ما نظن لدوى كثير مما طرأ على بنيانها من وهن وعلى تماسكها من تراخ وما قام في داخلها من تيارات ومكائد من جهة ، ولا يمكن حفظ اسمها ناصعاً لا يعلوه غبار ولا يلحق به نقد وتجريح وغمز ، ولما استهتر بعض المنتسبين اليها فيما بعد بالمبادئ والكرامة والحقوق القومية وسايروا الاجنبي الباغي ومثل بعضهم معه الأدوار الرئيسية التي مثلوها من جهة اخرى . ومن المؤسف كذلك أن هذا لا يزال كثير الوقوع بالرغم عن ما مر من زمن ، ومروءة كذلك الى ضعف البنية الذي ذكرناه آنفاً .

وينسحب على هذا بل ويمكن أن يكون قد نشأ عنه ما كان من عدم تقييد بعض الاعضاء بقرارات هيئة الجمعية المركزية ، وبالاتجاهات العامة التي كانت تتقرر في اجتماعات المؤسسين . وقد كان منهم من يفعل هذا انانية واستهتاراً واندفاعاً وراء الغرض ، ومنهم من كان يفعله عن حسن نية ، وكلاهما يعزو عمله الى الاجتهاد وعدم الافتناع . والخطأ في هذا الموقف قائم بالنسبة للفريقين بدون ريب، لان في التصرف اخلاقاً بالنظام واطعافاً للتضامن الواجب فليس من الممكن في أي تشكيلة أن تكون القرارات بالاجماع دائماً أو غالباً ، أو أن يشهد الاجتماعات جميع الاعضاء . والنظام الحزبي يقضي دائماً بأن تكون الاقلية تبعاً للاكثوية . وليس للاقلية أن تحبط قرار الاكثوية أو تعطله أو تناوته أو لا تنفذه ما دامت مستمرة في الانتساب الى التشكيلة . وفي التشكيلات السرية الخطيرة لا يرد أن الاقلية المخالفة تنفصل عنها وتتحرد باجتهادها . فخطورة هذه التشكيلات وخطورة مقرراتها غلي واجباً آخر هو الطاعة والتضامن من الجميع ، وغلي موقفاً آخر هو موقف الحزم والصرامة من الشاذين . والقصد الذي فسدناه من الكلام هنا كذلك هو الاعتبار والتنبيه . ولذلك لم نشأ ذكر الاسماء والاحداث .

فصانه الزعيم في الفتاة وخطورة الزعامة

ومما يمكن تسجيله على الفتاة كذلك ما دامت مناسبة الكلام عنها قائمة تراخيا في تماسكها الرسمي بعد عهد فيصل وعدم استمرارها فيه بدأب ونشاط على شدة الحاجة الى هذا التماسك واقتضاء ظروف النضال المديد والشديد له . فالقضية العربية بعد هذا العهد صارت تقريبا الى نفس الظروف التي اهتمت تشكيلها ان لم تكن أدق منها وأشد خطورة لتنوع مجالات النضال واتساعها وصعوباتها ، ولم ينقطع النضال على اختلاف أساليبه في سبيلها بعد هذا العهد في داخل البلاد وفي خارجها . وكان أبناء الفتاة من العاملين المؤثرين في مختلف ميادين هذا النضال . فكان من الضروري أن يظل كيان الجمعية الرسمي قائما كما كان فضلا عن ضرورة التوسع في التشكيل والتنظيم والتدعيم . والراجع أنه كان لنتائج أحداث الشام وخاصة لما كان من مكائد وبيارات وتنافس في داخل الجمعية رد فعل في نفوس كثير من أعضائها ثبط من همهم وأضعف من عزائمهم وجعلهم في وجوم وبلبلة وانكسار ، ولم يشجعهم على استئناف العمل ضمن كيان جمعيتهم ونظامهم ، مع أنه كان بينهم فئة صالحة ظلت على اخلاصها وروحها وقلبها وتقائنها في سبيل القضية واهدافها ، وظلت متوائمة متحابية فيما بينها أيضاً . ونعتقد أنهم وخاصة هذه الفئة لو فعلوا ذلك لكانت القضية العربية استفادت فوائد كبرى ، ولكان لها تشكيلة قوية صالحة مجربة أسبغ عليها التاريخ خطورة لا تنكر ، ولكانت اتسعت مع الزمن وشملت الصالحين العاملين من الشباب والكهول الذين برزوا في ميادين الحركة والنضال، وتكشفوا عن استعداد وموهبة ورغبة صادقة ، ولما كانت الجهود تتنجل ارتجالا ، والعزائم تتقدحينا وتخمدحينا، ولكانت أثرت تأثيراً غير يسير في تصحيح الاتجاهات الاقليمية التي سار فيها بعض الفئات الوطنية، وفيهم نخبة من أبناء الفتاة الصالحين ، ولما كانت الصلات تفتقر أو تنقطع أحيانا بين العاملين في مختلف الميادين وتضطر كل فئة الى العمل في نطاق محدود أو فورات مرتجلة . وتبدو خطورة هذا المأخذ على الفتاة إذا ما لوحظ أنه لم يقم مقامها تشكيلة قومية عامة وشاملة ناجحة تشتغل بصورة مستمرة وجدبة في سبيل الهدف القومي العام الذي يتجاوز الافق الاقليمي،

والانهاك في القضايا المحلية التي شغل بها العرب نتيجة لكيد الاجنبي واملائه وتوجيهه
واسلوبه ، وان هذا النقص كان وما يزال من أهم ما نراه من مظاهر ضعف التيار
والحماس القومي ومن مظاهر التفكك بين العاملين وجهودهم .

نقول هذا ونحن نعرف ان فئة من ابناء الفتاة حاولت بعد قليل من سقوط
الشام وبكلمة ادق في عهد عمان الاول ان تستأنف النشاط على اساس التشكيل
الرسمي السري ، وانتخبت هيئة مركزية واخذت تسير على غرار دمشق في
اجتماعاتها وقراراتها وتوجيهاتها ، وكانت تفرض نفسها في ميدان عمان ، وضمت
بعض الصالحين من الفلسطينيين والاردنيين اليها . غير ان هذه المحاولة كانت
محدودة الامد والنطاق والمجال اولا ، ولم يكتب لها الاستمرار فضلا عن الاتساع
او الدعوة الى ضم الشتات وجمع الشمل ثانيا حتى ان كثيراً من ابناء الفتاة القديين
والحديثين الذين تبعثروا في الاردن وفلسطين ومصر والعراق والشام لم يعرفوا
عن نشاطها شيئاً . ولم تقم للفتاة قائمة كيان وسمي آخر بعد ذلك . وكل ما كان
من امر ان بعض اعضاء الفتاة وحزب الاستقلال كانوا يتعاونون احيانا وفي بعض
المجالات الوطنية والمحلية ، وظلوا على توادهم وتوائهم الشخصي وما يزالون .
وكان لهذا وذاك فوائد غير يسيرة في ظروف النضال القومي في مختلف الميادين
وكذلك نقوله ونحن نعرف ان محاولات عديدة حاولت لايجاد تشكيلات
قومية شاملة سد الفراغ الذي ظل واسعا مؤسفا وما تزال تحاول . غير انها لم
تثمر الثمرة المنشودة ، ولم يكتب لاحداها الى الان نجاح او استمرار او قوة مر
شأنها سد الفراغ . ومرده في ما نعتقد الى البيئة الاستعمارية الاقليمية التي اضرت
الجيل الجديد ان يجبا فيها بعد عهد الشام ، وعدم استناد تلك المحاولات او ايمان
قومي عميق في قلوب القائمين بها او بعضهم يجعلهم بصمدون تحتلف المثرات ،
والصعوبات ويتغلبون عليها بالدأب والتجرد والتضحية والصبر ، ويسري اي غيرهم
بما له صلة ايضا بضعف بنيتنا القومية الذي اشرنا اليه قبل .

- ٧ -

ونقص آخر يتراءى لنا في بنيان الفتاة ويمكن أن يعزى اليه ما كان من
أحداث موهنة ، وما حارت إليه من تراخ في تماسكها واستمرار في دأبها في نطاق

كيانها الرسمي وهو فقدانها «الزعيم» . فالاعتاد في التشكيلات السياسية النضالية والحركات الوطنية الخطيرة وخاصة السرية منها أن تقوم على أكتاف زعيم موهوب قوي الشخصية والروح والقلب واللسان ، عميق الايمان بقضيته وزعامته ، حليم من غير ضعف ، بسيط من غير سخف ، بار لئلا يوسع الأفق ، ينفخ في من حوله من الأصدقاء ذوي القلوب الطيبة والرغبات الصادقة والنوايا الصالحة ، فتتكون الحلقة ، ويكون هو قطب رحاها ومدار حركتها وناظم سلسلتها ، كلمته الحاسمة في الأزمات وخطوته المتبعة في الملمات ، وصوته المسموع وأمره المطاع ؛ لا يضعف ولا يني ، ولا يسف ولا يسخف ولا يتبلا ذهنه وتستغلق عليه الأمور في الطوارئ . والأحداث المفاجئة ، ولا يستعبده هواه وأنانيته ، ومطامعه وأسرته ، تستمد الحلقة من روحه وقلبه وعقله وشخصيته ومواهبه وإيمانه وجرأته وتجرده ، ويستمد هو منها قوته وعزيمته وخطواته ؛ فيكون التضامن الوثيق ، والتساند المتين ، والدأب المثمر ، والجد المستمر ، والبطولة الرائعة والأدوار الباردة ؛ وبظل هو الراية المرفوعة التي يتجمع حولها الخملصون ، والمذارة الوهاجة التي يستضاء بها في الظلمات ، والعمود الذي يحفظ للبيان ثباته أمام الزعازع والعواصف .

أما الفتاة فلم يكن لها هذا الزعيم القوي الموهوب ؛ وإنما كانت حلقات متقاربة السوية ، ومن مجموعها ونظامها وانسجامها وخطورة الظرف الذي وجدت وعملت فيه تكون اسمها ، واستطاعت أن تقوم بما قامت به وأن تصل الى ما وصلت اليه من النجاح والبروز . وقد ظلت قوية متماسكة ما دامت حلقاتها متصلة ببعضها ، فلما انفصلت العرى لم يكن لها ذلك العمود الذي تقوم عليه فيحفظ بنيانها من الانهيار ، والراية المرفوعة التي تتجمع حولها الفلول ، والروح القوية المؤمنة التي تنفخ في الأرواح الواهنة والعزائم الواهية ، وتعيدها الى التماسك والتوايط والدأب والنشاط .

نقول هذا ونحن نعرف أنه كان بين أبناء الفتاة بعض الشخصيات القوية اللامعة التي كانت تفرض نفسها في عهود الجمعية الأولى وفي عهد فيصل أيضا . ومن هذه الشخصيات من استطاع أن يفرض نفسه في محاولات أخرى بعد هذه العهود أيضا . غير أنها على ما ثبت لم تكن لتستطيع أن تمثل في الفتاة دور الزعيم المطلوب ،

وأن تكون القطب من رحاها والعمود من بنيانها والراية المرفوعة من جيشها ، وقد يضاف الى هذا عدم ايمانها العميق بفكرة التشكيل والتنظيم ، واعتدادها بفرديتها وفقدانها الروح الاجتماعية التي لا بد منها للزعيم .

ومن المؤسف ان الحركات العربية طيلة دور اليقظة الجديد لم يقسم لها زعيم متصف بتلك الصفات . وهذا هو سبب الفشل الأليم الذي منيت به هذه الحركات ، ومنيت به كذلك محارلات سد الفراغ العديدة التي حاولها الجيل الجديد ايضاً . فمسألة الزعيم في التشكيلات السياسية والنضالية الخطيرة مسألة جوهرية حيوية ، وما يمكن أن تلقاه هذه التشكيلات من نجاح وفشل وتقدم وتقهقر ، وتماسك وتراخ مرتبط في ما نعتقد بهذه المسألة أشد الارتباط . والمدقق في الحركات القومية النضالية في الغرب يرى مصداق هذا في تاريخ بلدان كثيرة كإيرلانده وبولنده وإيطاليا وألمانيا . وقد كان في الشرق امثولتان عظيمتان من ذلك تمثلتا في كمال آتاتورك والحركة الوطنية الاستقلالية في تركيا الحديثة ، وفي غاندي والحركة الوطنية الاستقلالية في الهند . ولقد تمت على يدي هذين الزعيمين العظيمين الموهوبين معجزة خارقة ما كانت لولا اتصافها بصفات الزعيم القوي في ايمانه وقلبه وعقله وروحه وإقدامه ودأبه ونجده ونضحيته .

ولقد جاء ظرف اقتنع فيه كثير من إخواننا العاملين في ميدان النضال القومي بضرر هذه الأساليب البرلمانية السائدة على تشكيلاتنا وحركاتنا ، وهذه المساواة في المراكز والشخصيات والحلقات التي تتكون منها تلك التشكيلات وتقوم عليها هذه الحركات ، وبخطورة نقص الزعامة فيها ؛ واقترح بعضهم التواطؤ على إقامة « زعيم » يأمر فيطاع ويسير فيتبع ، ويقول الكلمة في الأزمات فتكون الحاسمة وفصل الخطاب ، ويهتف فتجاوب الأصوات بتليته دون حجاج ولجاج . ولكن هذا كان بمثابة المزاج المزوج بالألم أكثر منه في مقام الجد والجدوى ؛ لأن الزعيم لا يخلق خلقاً صناعياً ، ولا ينتخب انتخاباً برلمانياً وخاصة في ظروف الأمم النضالية والقومية ؛ وإنما يكون له من صفاته وروحه وعقله وشخصيته وإيمانه وسعة افقه وحزمه وجلده وقوة عارضته وأمعينه وتاريخه ونزاهته ما يساعده على فرض نفسه ، وحمل الناس على تأييده والالتفاف حوله ، واتباعه والفناء فيه بمقولهم أو بقلوبهم

أو بها معاً . والنجاح الذي يمكن ان يلقاه الزعيم أو من يترشح للزعامة أو يتصدر لها يظل دائماً متناسباً مع ما يمكن أن يكون عليه من حظ يسير أو كبير من هذه الصفات والزوايا .

- ٨٨ -

مهمات ضد الفتاة ونهضات في صدرها

هذا ؛ وقد كانت الفتاة عرضة لحملات وانتقادات في عهد فيصل واستمرت هذه الحملات والانتقادات بعده على حزب الاستقلال الذي غلب اسمه اسمها بسبب تبنيها العهد ، وما يمكن أن يكون صدر منها أو من بعض أعضاء من الأخطاء . ومع أنه قد يكون صدر منها أو من أعضائها أخطاء وتصرفات غير سليمة تستحق النقد مما هو طبيعي بالنسبة لأي تشكيلة تتبنى عهداً وتكون حكومته منها ، وتحاول أن تكون المؤثرة في كل شيء وأن لا يكون شيء إلا بموافقتها ورضائها ما أمكنها ، فانه من الحق أن نقول كذلك إن هذه الحملات لم تكن جميعها تزيه مجردة ، وإنه كان لسوء النية والروح الاقليمية والأناية من جهة وللدسائس الأجنبية من جهة اخرى أثر كبير فيها . فكثير من أصحاب الوجاهات والزعامات المحلية الذين قامت وجاهاتهم على ما كان لهم من نفوذ وكلمة في دوائر الدولة العثمانية تسرت لهم بالأساليب القديمة المعروفة قد أغاظهم أن لا يتمكنوا من الاستمرار في استغلال وجاهاتهم وزعاماتهم على الوجه الذي اعتادوه ، وأن يروها في طريق الزوال ، وأن يبرز على المسرح أناس أو بالأحرى شبان فيكونوا أصحاب النفوذ والتأثير في دوائر الدولة ورجالها ، وأن يكون نصيبهم الانزواء أو ما بمثابة . وكثير من طلاب الوظائف والمناصب والظهور لم ينعموا بما أرادوه فاعتبروا الفتاة خصماً لهم . وقد اغتم هؤلاء واولئك فرصة كون كثير من أبناء الفتاة غير سوريين ، فحاولوا أن يجدوا في هذه النقطة ثغرة لا تارة النعرة الاقليمية والعصية المحلية في الأوساط العامة ولقد كان من آثار ذلك أن أقدموا على تأسيس حزب سموه الحزب الوطني السوري وعرف باسم حزب الذوات استهدافاً لتوطيد مراكزهم المهددة . وقد اندمج في

هذه الحركة بعض أعضاء الفتاة من المؤسسين ممن ينتسب الى تلك الطبقة ، وكان سكرتيره من هؤلاء المؤسسين ايضاً اندفاعاً وراء ما سجلناه في مناسبة سابقة من أنانيات ومؤامرات ومكائد في داخل الفتاة . .

ولقد كان عهد فيصل مجالاً عجبياً لمختلف التيارات الأجنبية وكان كل نيار متعاكساً مع الآخر يحاول أن يؤثر في هذا المجال ويجرف ما يجده أمامه ؛ وكانت الدسائس والذدعات والأموال الأجنبية تلعب أدوارها الفظيعة في هذا المجال المتعاكس التيارات . ولما كانت الفتاة تمثل الفئة الوطنية المتطرفة ، وقد غذت الحملات المضادة للدسائس الأجنبية التي كانت تهدف الى التشويش على عهد فيصل ، وإضعاف المقاومة والصلابة القومية فيه إزاء المطامع الاستعمارية وتهديمه في النهاية وبسط السيطرة على سوريا الداخلية فمن الطبيعي جداً أن يكون لتلك الأموال والدسائس أثر كبير في تلك الحملات ايضاً . ولعل جعل هذه الفئة موضوعاً رئيسياً في إنذار غورو بين يدي بغيه العملي الذي هدم به العهد على ما سوف نذكره بعد من الدلائل القوية على ما نقول .

وبما لا ريب فيه أن فشل العهد وانهاره قد كان كذلك من وسائل هذه الحملات من قبل خصوم الجمعية الموثورين الذين أشرنا اليهم ومن أسباب استمرار آثارها بعد عهد فيصل الى أمد غير قصير .

وإننا لنقول الحق ولسنا متأثرين بالعصية الحزبية أن الجمعية كانت في الاجمال متشعبة بفكرة الخدمة المخلصة للعهد ونجاحه ، وكانت لاتألو جهداً في سبيل ذلك ؛ وإن ما كان من أخطاء وتصرفات غير سليمة قد صدرت عن حسن نية ؛ أو من بعض الشاذين من أعضائها بما لا يصح أن يوجه من أجله اليها اتهامات تتصل بالمبادئ والأهداف القومية أو بصدقها وإخلاصها وجهودها .

وبما يحسن أن يسجل في هذا المقام أن العصية الاقليمية لم تظهر بين أبناء الفتاة وصفوفها ظهوراً من شأنها أن يؤثر في كيانها ، وأنها حاولت دائماً أن تظل على شمولها ونجحت في محاولتها نجاحاً غير يسير ظل أثره قوياً بعد انقصاص عروة كيانها الرسمي في نفوس الذين اجتمعوا تحت لوائها واسمها على اختلاف أقاليمهم وطبقاتهم وظل معناه قائماً في هذه الصميمية الأخوية الموجودة الى الآن بين أكثر رجال

الجمعية من سوريين وعراقيين وفلسطينيين ولبنانيين ، وفي هذا التمازج والتعاون والتضامن والتواتق في كثير من الأعمال والأحداث والحركات القومية التي حدثت الى الآن في مختلف الأقطار بحيث يمكن أن تقرر صحة العقيدة القومية وقوتها في الحركة العربية الأولى وفي أشخاص عدد غير قليل من رجالها .

- ٩ -

حزب العهد في العهد الجديد

والمناسبة تسوقنا الى ذكر ما كان من أمر حزب العهد صنو الفتاة في الحركة العربية السرية ، وحزب اللامر كزبية .

أما حزب العهد فقد استطاع أن يحتفظ بكيانه الى نهاية الحرب ، وكان كثير من أعضائه قد التحقوا بالثورة ثم تكتلوا في حملة فيصل ودخلوا الشام معها . وما لبث الحزب أن انشطر الى شطرين عهد سوري وعهد عراقي . وقيل في سبب ذلك إنه قام بعض المنافسات والخلافات الشخصية بين أعضائه العراقيين والشاميين أثناء الثورة انقلبت الى نكرة إقليمية أدت الى ذلك الانشطار . ولعل بما سوغه لديهم ما بدا من علائم انفصال قضية الشام عن قضية العراق في المصير السياسي ، واعتقاد كل فريق بوجود توجيه جهوده لتحرير بلده وإنقاذها . ومهما يكن من أمر فان هذا الحادث أول افتراق إقليمي في تشكيلة قومية كانت شاملة المدى ، وقد انكشف به ناحية من نواحي ضعف البنية القومية الاجتماعية .

ولقد كانت الفتاة في أثناء الحرب قد ضمت اليها عدداً من ضباط حزب العهد العراقيين والشاميين ، فاندمج الذين وجدوا في دمشق في العهد الفيصلي في نشاط الفتاة وحركاتها من جهة ، ووجه المهديون العراقيون جهودهم واهتمامهم للعراق ووسائل إنقاذه بالتعاون مع الفتاة من جهة اخرى .

على أن العهد السوري ظل يحتفظ بكيانه ، ولكنه لم يرقم بدور ايجابي متصل بطبيعة طابعه في صدد الحركة النضالية في العهد الفيصلي كما فعل العهد العراقي . وكل ما كان من أمره أن أعضائه او كثيراً منهم كانوا موظفين في التشكيلات الحربية الحكومية .

ومع ذلك فقد مثل بشكل ما دور المعارضة للفتاة التي كانت قابضة على زمام الامور، وضم اليه بعض المدنيين منهم حسن الحكيم وحسي البرازي اللذين كانا عضوين في هيئة الادارية . وقد اعتبرته الفتاة كذلك ؛ وكانت تتصل به وتتعاون معه في الازمات والمشاكل والمواقف العامة القومية على هذا الاعتبار . ولقد كان بعض العهدين السوريين الذين هم اعضاء قديمون وحديثون في الفتاة اعضاء في هيئة ادارة الحزب ، فكان هذا بما ساعد على هذا التعاون .

ومن المؤسف ان ما كان من انحلال عروة الفتاة الرسمية بعد انهيار العهد الفيصلي قد جرى لحزب العهد بشطريه السوري والعراقي ، حيث لم يلبثا هما الآخران أن انحلا ، ولم يستمر اعضاؤهما في نشاط وتضال ضمن كيانها الرسمي .

حزب اللامركزية وحزب الاتحاد السوري

واما حزب اللامركزية الذي كان له دور ودوي في سياق الحركة العربية في عهد الدولة العثمانية قبل نشوب الحرب فانه تضائل وانطوى بعد نشوبها ؛ ولا سيما ان تشكيل الاتحاديين وبغني طاغيتهم جمال قد تناول بعض اركانه الذين وجدوا في داخل بلاد الدولة ؛ كما ان احكام الاعدام الغيابية قد شملت اكثر اعضائه في خارجها ؛ ولم يعد له مجال في نطاق نظامه ؛ غير ان ستورس الذي كان يشتغل في المحاورات الانكليزية اتصل ببعض اقطابه وجرت احاديث حول وجوب تعهد بريطانيا باستقلال البلاد العربية مقابل تحريك العرب وتوجيههم في طريق التعاون والتضامن ضد الدولة ، ولكن هذه الاتصالات لم تنته الى نتيجة حاسمة ، حيث تركزت اتصالات بريطانيا بالحسين وظلت متصلة الى نهايتها الحاسمة المعروفة .

على ان الحزب ظهر في مجال آخر وظهر معه منهجه اللامركزي أيضاً ، وذلك في تشكيله حزب الاتحاد السوري الذي كان له بعض الأدوار في العهد الفيصلي .

ولقد تأسس هذا الحزب في مصر في اواخر عام ١٩١٨ ، وكان الشيخ كامل القصاب وخالد الحكيم والدكتور عبدالرحمن الشهبندر وهم من مؤسسي الحزب قد ذهبوا إلى الحجاز بعد إعلان الثورة بمدة ما ، واجتمعوا بالحسين ثم زاروا فيصلًا في

مركز قيادته في مشارف الشام ووجهوا إلى مصر غير راضين عن الحركة وعن
الحسين وفيصل ، لعدم انصياعهم لإقتراحات وتوجيهات ابدوها ، فجمعوا فريقاً من
الساسة الشاميين ومنهم بعض أركان حزب اللامر كزية وتشاوروا في شأن مصير
البلاد العربية فقرروا تقديم مذكرة لبريطانيا بطلب توكيدها استقلال البلاد العربية
وإدارتها على اساس اللامر كزية ، مذكريها بما للامة والبلاد العربية من مركز مادي
ومعنوي خطير ، وما كان من حركاتها وأهدافها التحريرية في الدولة العثمانية ، وما
كان من أثر الثورة العربية في الحرب . وقد وقع المذكرة كل من رفيق العظم
والدكتور عبد الرحمن شهبندر وفوزي البكري والشيخ كامل القصاب وغيرهم
... .. وصنع وحسن حماده . وقد تلقوا جواباً عليها فيه عهد بمساعدة
... .. نيل البلاد العربية المحررة استقلالها ، وإشارة إلى ما كان من اعترافها
... .. التي انحوت التي انحوت - أي الحجاز - مما يعد من جملة العهود البريطانية الخطيرة
... .. خامة انه صدر بعد تصريح بلفور ومعاودة سايكس بيكو بمدة طويلة .
... .. اخلوتهم الرسمية إلى تأسيس الحزب . وقد كانت هذه الخطوة بعد
... .. حيث التام واحلال فرنسا لبنان والأقسام الساحلية وانكسرت فلسطين .
... .. ود جهوا منهج سوريا ووحدة سوريا العربية واستقلالها وإدارتها على اساس
... .. كرية ، وانتخبوا ميشيل نطف الله رئيساً له .

وكان من بوادر نشاطه الأولى الاحتجاج لدى بريطانيا على تجزئة البلاد السورية
واعتماد ذلك مناقضاً للعهد المتطوع منها ، ثم ارسل وفدآ من أعضائه إلى سوريا
للعمل في سبيل أهدافه .

ولقد كانت فكرة الحزب ظاهرة جديدة في سير الحركة العربية وتشكيلاتها .
لأن ذلك السير وهذه التشكيلات كانت وظلت قائمة على أساس أهداف الفكرة
العربية واستقلال البلاد العربية العثمانية ووحدها خاصة دون تفريق بين شام وعراق
وحجاز . ومع أن الواقع عقب الحرب كان يبلي اتجاهاً نحو العمل على استقلال
سوريا واستقلال العراق واستقلال الحجاز ، إلا أن رجال الحركة العربية ظلوا
متسكين بفكرة الوحدة العربية ومهتئين لابرازها وتسجيلها في كل ما يقررون
ويكتبون وينشرون .

ويبدو من عنوان الحزب ومنهاجه واشتراك فريق من اقطاب حزب اللامركزية فيه أنه كان لهذا الفريق أثر في تشكيل الحزب وانهم ظلوا في نشاطهم الجديد متأثرين بفكرة حزبهم القديم .

ولقد قيل ان مؤسسي الحزب كانوا يستهدفون إقامة جمهورية في سوريا يرأسها سوري ، وان منهم من اندفع في هذه الفكرة بسبب ما كان من موقف الحسين وفيصل منهم مما أشرنا اليه قبل ، وان منهم من كان طامعاً برئاسة الدولة أيضاً . ولقد ظل طابع النقمة والجفاء ملحوظاً على هؤلاء ضد الحسين واولاده طيلة العهد الفيصلي وبعده ، بما يمكن أن يؤيد صحة ما قيل . ونقول بالنسبة للحزب نفسه ان شكل الجمهورية لم يكن منصوصاً عليه في منهجه من جهة ، وان الذين جاؤوا إلى الشام من أعضائه اضطروا إلى تعديل بعض بنوده تعديلاً يتفق مع الجو الذي كان سائداً على دمشق من جهة ثانية، رغماً عن أنهم مثلوا بشكل ما دور المعارضة لفیصل وكان الذين هم من أعضاء الفتاة المؤسسين منهم عقدة غير مفهومة في داخل الفتاة لأن الفتاة كانت متضامنة مع فيصل وسائرة في طريق توطيد حكمه في سوريا ، بما يمت إلى ما كان قبل في صددهم . وإلى هذا وذاك فان الحزب لم يبرز ولم يتسع في العهد الفيصلي ، وما لبث بعض أركانه الذين قدموا من مصر ان عادوا إليها حيث استأنفوا نشاطهم فيما بعد انهيار العهد الفيصلي على ما سوف نذكره بعد .

النادي العربي

وبما تتحمل المناسبة الكلام عنه « النادي العربي » في دمشق . فقد انشأ في مبادئ العهد الفيصلي ، ولعل فكرته استوحيت من فكرة المنتدى الأدبي ؛ حيث مثل دور هذا المنتدى مع زيادة انطلاق وحرية منسقة مع طبيعة العهد القومية والتحررية والثورية . ولم يلبث أن غدا بيتاً قومياً يلتقي في إبهائه وغرفه السياسة وشباب الحركة ورواد دمشق القادمون من مختلف أنحاء البلاد العربية ؛ وكانت تعقد فيه الاجتماعات العامة وتلقى فيه الخطب والمحاضرات وتقوم منه المظاهرات وتوجه منه التوجيهات وفقاً لما تطلبه ظروف العهد وتطورات السياسة ؛ وبالجملة فقد

كان لوجوده ونشاطه أثر غير قليل في الحماس القومي الذي كانت تجيش به العاصمة العربية . وفيه عقد المؤتمر السوري العام دورته الأولى أي اجتماعاته التي عقدها بمناسبة قدوم لجنة الاستفتاء الأميركية وقد كانت يد الفتاة فيه ماثلة حتى يكاد يعد من روافدها .

وقد نسجت المدن العربية الاخرى في انحاء بلاد الشام على منواله فنشأ في كثير منها اندية سميت باسمه وكانت مثله بيوتاً قومية ذات أثر غير يسير في النشاط والحماس والتوجهات القومية .

- ١٠ -

رحلة فيصل الاولى الى اوروبا

ونعود الى الكلام عن العهد الفيصلي فنقول ان فيصل تلقى في ارائل تشرين الثاني ١٩١٨ أمراً من والده بالسفر الى اوروبا ليمثله في مؤتمر الصلح ، فغادر سوريا حالاً يرافقه بعض أعضاء الفتاة ، وانضم اليه آخرون منهم كانوا في باريس ، ومنهم من انتدب مندوباً رسمياً من قبل الحسين الى جانب فيصل في المؤتمر وهما محمد رستم حيدر وعوني عبد الهادي .

ولقد نظر الافرنسيون الى سفر فيصل ودخوله المؤتمر نظر التجهم ، وحاولوا إقامة العثرات في طريق قبوله في المؤتمر ممثلاً عن الحجاز بل حاولوا أن يحولوا دون دخوله باريس وطردهوا لورانس الذي كان معه ، ومع انهم سهلوا له بعد ان طوفوه جبهات القتال دخول باريس والاجتماع برئيس الجمهورية إلا ان التجهم ظل قائماً . وقد دعاه الانكليز الى لندن فسافر اليها حيث استقبل بحفاوة واجتمع بسانتها ، وكان الانكليز اقنعوا الافرنسيين بعدم جدوى معارضتهم لتمثيل فيصل الحجاز . ولم يلبث ان عاد الى باريس ، وان قبل في المؤتمر بهذه الصفة .

فيصل امام مؤتمر الصلح

ولقد اعتبر نفسه صاحب حق في الدفاع عن قضية العرب والتعبير عن آمالهم وأهدافهم، وطلب من المؤتمر الاصفاء اليه فاجيب الى طلبه، وتكلم بالعربية فذكر أماني العرب واهداف حركتهم وتضحياتهم، وما نالوه من عود وعهود وما قدم العرب في سبيل ذلك من مجهود، وطالب بالاعتراف باستقلال البلاد العربية المحررة واعتبارها وحدة جغرافية لا يجوز تجزئتها، وخص بالذكر سوريا فطالب باستقلالها ووحدتها على ان تكون متحدة في شؤونها الخارجية مع الحجاز، وأشار الى استعداد العرب للاستعانة بمستشارين اجانب أنى دعت اليهم الحاجة. وقد وصف كلامه بالبلاغة والحكمة وكان له تأثير قوي في أعضاء المؤتمر.

موقف فرنسا منه فيصل ومطالبه

ولقد حاولت فرنسا توهين كلام فيصل بشأن سوريا خاصة - وقد كانت وظلت تقوم بدعاية اعتباره غريباً عن سوريا ولاحق له بالكلام باسم اهلها وتنعت حكومته بحكومة الشريف والشريفين تخيف بذلك نصارى لبنان - فاستطاعت ان تحمل المؤتمر على الاستماع الى داود عمون الذي أرسلته سلطاتها من لبنان على رأس وفد لهذه الغاية حيث طالب بلبنان الكبير مستقلاً باشرف فرنسا ومساعدتها، والى شكري غانم كذلك بصفته رئيساً للجمعية السورية في باريس حيث طالب بوحدة سوريا واشرف فرنسا عليها. وقد استمع المؤتمر ايضاً الى هوارد دبلس رئيس الجامعة الاميركية ببيروت حيث تكلم بقوة واقناع عن رغبة السوريين في الاستقلال والوحدة.

قرار الاستفتاء

وإزاء ذلك قرر المؤتمر بالحاح الرئيس ويلسون بإنشاء لجنة دولية من الحلفاء للوقوف على رغائب سكان البلاد العربية المحررة، وفقاً لما كان قرره من مبدأ اعتبار

هذه البلاد مستقلة في حاجة الى الارشاد والمساعدة ووجوب احترام رغبات اهلها في مصيرهم . ومع ان المندوب الافرنسي وافق على القرار فان الدوائر الافرنسية لم ترتع الى ذلك لأنها خشيت من نتائج الاستفتاء في صدد مطامعها في لبنان وسوريا، فأخذت تقيم العثرات في سبيل إحباطه ، ثم تلكأت هي واقنعت انكلترة بالتلكؤ في ايفاد بعثتها فأمر الرئيس ويلسون بعثته التي عرفت بلجنة « كينغ - كراين » بالسفر والقيام بالمهمة وحدها . وهكذا بدت مظاهر التآمر الافرنسي الانكليزي على بلاد العرب الذي وضعت اسسه في اثناء الحرب على ما ذكرناه سابقاً .

ومن العجيب ان الانكليز فعلوا هذا بينما ساعدوا فيصل في دخول المؤتمر والتكلم باسم العرب وسوريا ، وبينما حاولوا جهدهم بعد ذلك في حمل السوريين على رفض مساعدة فرنسا وإرشادها ، وهو موقفهم النفاقي المعتاد والمساوم الذي يطمع ويؤيس وتقيم العثرات بقصد النجاح في ما يريد له نفسه من المغامم ويبيته من مآرب . ولقد كانت انكلترة تريد ان تخرج العراق من مطالب العرب وتبسط عليه سيطرتها التامة كما كانت تريد ان تخرج فلسطين منها ايضاً وتبسط سيطرتها التامة وتساعد اليهود على تحقيق امانيهم فيها وفقاً لتصريح بلفور الذي اصدروه لهم ، وضمانة لمساعدتهم لهم في غايتهم هذه ؛ حتى لقد ضغطوا على فيصل في الأمرين في لندن ثم في باريس ولوحوا له باه كان تحقيق امله في سوريا إذا استجاب الى رغبتهم ، وساعده على دخول المؤتمر والادلاء ببيانه ومطالبته بسوريا موحدة مستقلة عربونا على ذلك ؛ وقد كان اتفاق « سايكس بيكو » يجعل ادارة فلسطين دولية من جهة ويجعل الموصل في منطقة نفوذ فرنسا من جهة اخرى ، وكانت ترغب من فرنسا ان توافقها على تعديل الاتفاق بحيث تصبح فلسطين تحت سيطرتها والموصل في منطقة نفوذها هي ؛ وكانت المفاوضات دائرة بين الفريقين الغادرين على ذلك إبان انعقاد المؤتمر وإدلاء فيصل ببيانه ، وكانت فرنسا في طريق الاستجابة إلى رغبة انكلترة هذه غير ان النتيجة الحاسمة لم يكن قد بُت فيها . ففي هذا ما يفسر موقف الانكليز كما هو واضح . يضاف الى هذا خشيتهم هم الآخرون من نتائج الاستفتاء في العراق وفلسطين وعدم سير العرب في الطريق الذي يرغبونه . فسايروا فرنسا في عدم ارسال بعثتهم حتى لا تكون شاهداً عليهم من اهلهم . والمرجح ان اليهود

قد خشوا كذلك نتائج الاستفتاء في فلسطين فدفعتهم خشيتهم الى عرقلة ولو بعدم إرسال بعثات الحلفاء الآخرين .

وعاد فيصل من أوروبا في ربيع عام ١٩١٩ بدعو إلى التفاؤل وبحض على توحيد الرأي في البلاد السورية أمام لجنة الاستفتاء ، وتقرر عقد مؤتمر سوري عام يضم ممثلين عن جميع انحاء سورية الطبيعية ، واخذت العدة تعد لهذا المؤتمر ، والدعاية تبث في سبيل توحيد الرأي ، والحيوية تبدو قوية نشيطة .

لجنة الاستفتاء في فلسطين

وجاءت اللجنة الأميركية في اواسط عام ١٩١٩ فزارت في أول الأمر فلسطين التي كانت أوساطها الوطنية قد استعدت للاستفتاء إستعداداً حسناً ، وبدا عليها من النشاط والحيوية والتنظيم ما أثار إعجاب اللجنة . وقد كان لأعضاء الفتاة الذين كانوا في فلسطين وكانوا على اتصال بالهيئة المركزية في دمشق في صدد الحركة والتنظيم والتوجيه جهد كبير في ذلك ، ولقد كان الصوت العربي مجعاً تقريباً على الرغبة في الاستقلال والوحدة السورية ضمن وحدة عربية عامة مستقلة ورفض السياسة الصهيونية ووعد بلفور وفقاً للميثاق الذي أقره المؤتمر الفلسطيني الأول ، وكان العرب حينذاك يمثلون ٩٣ ٪ من السكان . وقد كان بما وجهته اللجنة من السؤالات موضوع اختيار الدولة المرشدة المعاونة وفقاً لما قرره مؤتمر الصلح وغدا من ميثاق عصبة الأمم ، فكان جواب الاكثوية الساحقة من المسلمين الذين كانوا يمثلون ٨٥ ٪ من السكان مجعاً على احالة الجواب على هذا السؤال الى المؤتمر السوري العام المزمع عقده في دمشق والذي سوف يضم ممثلين عن فلسطين . وكان جواب النصارى متنوعاً وفقاً للدعايات والميول المختلفة في صدد الترويج بين فرنسة وأميركا وانكلترا والاحالة الى المؤتمر السوري . ولقد لوحظ ان العمال الافرنسيين نشطوا في أمر ترويجهم في الاوساط الاسلامية فضلاً عن النصرانية والكاثوليكية بنوع خاص ، وقد استجاب بعض الافراد الانتهازيين الى المسمى الافرنسي وحاولوا بذل النشاط في الأوساط الاسلامية ولكنهم اخفقوا اخفاقاً تاماً وكانوا موضع الغر

والطمع واعتقد الناس انهم كانوا مأجورين في محاولتهم . والمسعى الأفرنسي يدل على التشاد بين الافرنسيين والانكليزوعلى عدم الوصول في المفاوضات والمساومات الى نتيجة مرضية بعد .

والمؤتمر الفلسطيني الاول المذكور كان اول مؤتمر عقد في البلاد العربية المحررة عقب انتهاء الحرب حيث عقد في اوائل عام ١٩١٩ ، وكان يمثل المسلمين والنصارى معاً . ولقد حاول الانكليز بأساليب متنوعة ترغيبية وتهيئية ان يصرفوا المؤتمر عن فرار الوحدة السورية وان يقنعوه بطلب استقلال فلسطين بإشراف بريطانية ، واقنعوا رئيس المؤتمر وبعض اعضاءه ، واستدعوا الجنرال حداد الذي كان مديراً الأمن العام في دمشق خصيصاً لهذا الغرض ، فاجتمع بعدد من اعضاء المؤتمر البارزين محاولاً اقناعهم بعدم جدوى قرارهم ، ولكن المسعى منى بالاختفاق ، لان الميثاق كان قد تقرر قبل اشتداد المساعي ، ورفضت الاكثوية الساحقة البحث فيه ثانية . وقد قرر المؤتمر في ما قرر اطلاق اسم سورية الجنوبية على فلسطين ، وانتداب وفد لزيارة دمشق والاتصال بيهيئتها في صدد الميثاق المقرر والخطر الذي يهدد فلسطين بالتهويد مما لمس الاعضاء بوادره وتنبأ بعضهم بمصير فلسطين القاتم بسببه ولكن السلطات الانكليزية حالت دون سفره واذا ذلك ...

لجنة الاستفتاء في سوريا وبنائه والمؤتمر السوري العام

ثم انقلبت اللجنة الى دمشق وانعقد مع مجيئها المؤتمر السوري العام ، وقد ضم اكثر من ثمانين مندوباً من مختلف انحاء سورية الداخلية والساحلية الجنوبية كان بينهم نخبة صالحة من متتوري البلاد ورجال الحركة العربية وشبابها . وقد انتخب ممثلو منطقة سوريا الداخلية انتخاباً نيابياً ووفقاً لقانون الانتخاب وبإشراف الحكومة من قبل المندوبين الثانويين في انتخابات المجلس النيابي العثماني الاخير ، ولما لم يكن هذا ممكناً بالنسبة للبنان والسواحل التي تسيطر عليها السلطات الافرنسية وتهدف فرنسا الى مناوأة الحركة العربية فيها ولا بالنسبة لفلسطين التي تسيطر عليها السلطات الانكليزية وتهدف انكلمترا الى اقتطاعها من جسم سوريا

وعزلها وتحقيق أمنية اليهود المنسقة مع مآربها فيها فقد تولى انتخاب مندوبي هذه المناطق وتوكيلهم الجمعيات والأندية والشخصيات البارزة حسب ما كان في الامكان وهذه أسماء اعضاء المؤتمر حسب مناطقهم . أخذناها من لوحة الصور الكبيرة التي جمعوا فيها بمناسبة اعلان الاستقلال وملكية فيصل ومن الذاكرة حيث ان اللوحة لم تحتو صور الجميع . ومع هذا وذاك فالمرجح ان هناك أسماء اخرى لم توضع صور أصحابها وغابت عن الذاكرة أسماؤهم :

المنطقة الداخلية بما فيها شرق الاردن حيث كان احد مقاطعاتها وبما فيها الأفضية الأربعة التي ألحقت بلبنان حينما نودي به كبيراً : عبد القادر الخطيب دمشق . محمد فوزي العظم دمشق . فوزي البكري دمشق . فخري البارودي دمشق . احمد القضائي دمشق . محمد المجتهد دمشق . مسلم الحسنی دمشق . الياس عويشق دمشق . عبد الرحمن اليوسف دمشق . عزة الشاوي دمشق . يوسف لينادو دمشق . انشيخ تاج الدين الحسني دمشق . فاتح المرعشلي اعزاز . جلال القدسي اعزاز . تيودور أنطاكي حلب . سعد الله الجابري حلب . حكمة النبال حلب يوسف الكيالي حلب . نوري الجسر حلب . عيسى المدانات الكرك . خليل العتھوني معان . سعيد ابو ناجي السلط . عبد المهدي محمود الطفيلة . سليمان السوري عجلون . سعيد الصليبي السلط . محمود ابو رومية حوران . ابراهيم هنانو حارم . خالد البرازي حماه . عبد الحميد البارودي حماه . عبد القادر الكيلاني حماه . عبد الرحمن ارشيدات عجلون . شريف الدرويش الباب . محمود نديم منبج . حكمة الحراكي المعره . حسن رمضان الزبداني . فايز الشهابي حاصبيا . سعيد حيدر بعلبك محمد حيدر بعلبك . تامر حماده الهرمل . ناصر المفلح حوران . زكي يحيى إدلب . فؤاد عبد الكريم إدلب . احمد العياشي إدلب . محمود الفاعور القنيطرة . خليل ابو الريش النيبك . هاشم الأتاسي حمص . وصفي الأتاسي حمص . مظهر رسلان حمص .

لبنان والساحل الغربي

رشيد رضا طرابلس الشام . توفيق البيسار طرابلس الشام . عثمان سلطات طرابلس الشام . الشيخ عبد العظيم طرابلس الشام . ابراهيم الخطيب لبنان . رياض الصلح صيدا . عفيف الصلح صور . عبد الفتاح الشريف عكار . سليم علي

سلام بيروت . جميل بيهم بيروت . أمين بيهم بيروت . جورج حرفوش بيروت .
ناجي علي اديب جبلة . محمد خير اللاذقية . محمد الشريقي اللاذقية . منح هارون
اللاذقية . صبحي الطويل اللاذقية . توفيق مفرج الكوره . دعاس الجرجس حصن
الأكراد . رشيد نفاع المتن . مراد غلمية مرجعيون . سعيد طليح لبنان .

فلسطين

سعيد الحسيني القدس . راغب النشاشيبي القدس . ابراهيم القاسم عبدالهادي نابلس .
عزة دروزه نابلس عادل زعيتو نابلس امين التميمي نابلس الشيخ طاهر الطبري طبريا .
يوسف العاقل طبريا . عبد الرحمن النحوي صفد . صلاح الدين قدوره صفد . الدكتور
احمد قدري عن الخليل . رفيق التميمي عن الخليل . سليم عبد الرحمن طواكرم .
حسين الزعبي الناصرة . عبد الفتاح السعدي عكا . الشيخ ابراهيم العكي عكا .
الحاج امين الحسيني القدس . عارف العارف القدس . يوسف العيسى يافا . معين
الماضي حيفا . رشيد الحاج ابراهيم حيفا . الشيخ سعيد مراد غزه . رشدي الشوا غزة
وعقد المؤتمر اجتماعاته في بهو النادي العربي وانتخب لرأسه محمد فوزي العظم
ولسكرتيرته عزة دروزه . وقد قرر رغبة سوريا بمحدودها الطبيعية في الاستقلال
التام والوحدة ضمن وحدة عربية مستقلة ، ورفض السياسة الصهيونية والهجرة
اليهودية رفضاً باتاً ، والاحتجاج على المادة (٢٢) من ميثاق عصبة الأمم القاضية
بادخال سوريا في عداد الأمم المحتاجة الى الانتداب لأن شعبها لا يقل رقياً عن
غيره وخاصة عن البلغار والصرب واليونان والرومان المسلخة بلادهم عن الدولة
العثمانية ، والاستعانة بأميركا بسبب انها لا مطامع استعمارية لها استعانة فينة
واقتصادية كلها دعت الى ذلك حاجتها على ان لا يكون في ذلك اي معنى لوصاية
ارحامية او تدخل او مساس باستقلالها السياسي التام ووحدها في حال اصرار
المؤتمر على تطبيق المادة (٢٢) المذكورة ، والاستعانة بريطانيا على هذه الاسس
اذا حالت ظروف أميركا دون الاجابة الى هذه الرغبة ، ورفض الاستعانة بفرنسا
رفضاً باتاً وانكار ماتدعيه من حقوق ومصالح تقليدية في سوريا نظراً لما تضمنه
من مطامع استعمارية تتناقض مع آمال العرب القومية ، وقرر فيها قرر رغبته في
ان يكون شكل الحكم ملكياً نيابياً تحت ملكية فيصل وعلى اساس اللامركزية
الواسعة ، وطلب ما طلبه لسوريا للعراق وعدم ايجاد اي حاجز اقتصادي بينها ،

والاحتجاج على كل معاهدة صرية سابقة تقضي بتجزئة سوريا او كل وعد يرمي الى تمكين الصهيونيين من فلسطين وطالب بإلغائها بناء على القاعدة الاساسية التي وضعها ويلسون والقاضية بإلغاء المعاهدات السرية ...

ثم حمل وفد من المؤتمر قراره وسلمه إلى اللجنة وتحدث معها شفويًا عن المؤتمر وتمثيله وآماله الكبيرة في اميركا الحرة المجردة من المطامع الاستعمارية . ولقد اتصلت اللجنة بمختلف الشخصيات والهيئات في سوريا الداخلية فكانت النتيجة التي وصلت اليها متطابقة مع قرار المؤتمر في الجملة . ثم زارت لبنان وسواحل سوريا ، وبالرغم عن ما كان من تجهم السلطات الافرنسية وتوتر اعصابها فقد كانت آراء اكثرية السكان في هذه المناطق التي تتمثل في المساهين السنيين والشيعيين والدروز والنصارى الارثوذكس والبروتستانت متطابقة كذلك مع ما سمعته اللجنة في الداخل والجنوب . وكل ما كان من امر هو موقف المواردنة والكاثوليك وبعض الفئات النصرانية الذي كان مخالفاً حيث ايدوا السياسة الافرنسية والاشراف الافرنسي واصلحوا رغبتهم في كيان لبناني خاص وفقاً للتوجيه الافرنسي الذي بدأ في المؤتمر على لسان الوفد الذي رأسه داود عمون . ومن الطريف ان نسجل ان فرنسا لم تتورع من مناقضة الواقع المسجل في العرائض وتقرير اللجنة فتعلن عقب الاستفتاء ان اكثرية السكان في سوريا طلبت فرنسا ...

وعلى كل حال فقد ظهر للجنة كما عرف من تقريرها ان اكثرية سكان سوريا الطبيعية داخلاً وجنوباً وساحلاً متطابقة في مطلب الاستقلال والوحدة والنفرة من الحماية والمداخلة الأجنبية والاستعمارية وخاصة الافرنسية . وقد جاءت هذه النتيجة برهاناً على قوة قابلية الاستجابة في العرب للدعوة القومية والفكرة القومية والتنظيم القومي كما انها كانت ذات تأثير عظيم على اللجنة الأميركية والاطراف الاستعمارية معاً . ومن تحصيل الحاصل ان نقول ان حركة الاستفتاء هذه كانت وسيلة قوية للدعاية الى الفكرة العربية وأهدافها في اوسع ساحة ممكنة وتوجيه الافكار العربية الى هذه الاهداف اولاً والى المؤتمر السوري وما احتواه قراره من الاهداف التي تركزت في الاستقلال لالاماني القومية ومنذرة بما تبينه فرنسا لسوريا من نيات استعمارية . وعلى كل حال فقد كانت محاولة الانكليز في النقطين مظهرًا من مظاهر

التشاد بينهم وبين الافرنسيين حول ما يبته كل منها للعرب ووسيلة من وسائل المساومة الدائرة بينهما .

ولقد انتقد البعض ما كان في قرار المؤتمر من التشدد في إظهار العداء نحو فرنسا وحسبوا ذلك من اسباب شدة التجهم الافرنسي نحو الحكومة الفيصلية ، وما كان من النص على طلب الاستعانة من اميركا وان لم يكن فمن بريطانيا ، واعتبر الناقدون ذلك اقراراً لمبدأ الانتداب الذي لم يكن الا صورة من صور الاستعمار ، وكذلك انتقدوا الاتجاه الذي بدا في إقامة دولة مستقلة خاصة بسوريا واعتبروا هذا نقضاً للاهداف التي استهدفتها الفكرة العربية والثورة العربية وهي انشاء مملكة عربية كبرى مستقلة موحدة تشمل البلاد العربية المحررة من تركيا بنتيجة الحرب ، وذلك ما اشتملته حدود الحسين في مذكرته الخطيرة الأولى .

أما النقطة الأولى فمع ان الدعاية الانكليزية كانت ذات أثر فيها فان ما بدا من السلطات الافرنسية في لبنان والحكومة الافرنسية في باريس من مواقف عدائية ضد الحركة العربية وتوهين اهدافها ، وما اقيم من عثرات في وجه فيصل ، وما كان يبت من دعايات وينفق من اموال في سبيل الدس والتشويش على العهد العربي الفيصلي ، وما بدا مكشوفاً من مطامع فرنسا في سوريا وبسط سلطتها عليها كان كذلك والوحدة السورية الكبرى ضمن الوحدة العربية الجامعة وفي مناوأة كل مطمع إستعماري وتزييف كل دعوى او مزاعم أجنبية في اي جزء من اجزاء البلاد .

- ١٢ -

أثر الانكليز في الاستفتاء

هذا ، ولقد كان ملموساً ان الانكليز حاولوا توجيه الرأي العربي في سوريا في وجهة ترجيح إنكلترا في طلب المساعدة من جهة والتشدد في رفض فرنسا من جهة اخرى . ولقد كان من شأن محاولتهم في النقطة الأولى ان قام تشاد او خلاف بين الفتاة وفيصل ، حيث كان فيصل وبعض الأعضاء يودون السير في الاتجاه الذي يرضي الانكليز اقتناعاً بأن ذلك في مصلحة المطالب العربية ، ولكن ما كان يبدو من الانكليز من مواقف عجيبة متناقضة وأساليب ملتوية وخاصة بالنسبة للعراق

- ١٠٠ -

وفلسطين وتشكيلات الجيش العربي وما ظهر من تأمر مع فرنسا على الغدر والنكث في العرب اوجد في نفوس رجال الحركة العربية رد فعل ضد توجيهاتهم، ثم انتهى الأمر الى الحل الوسط الذي بدأ في قرار المؤتمر حيث نص على طلب المساعدة من اميركا فان لم يكن فمن انكلترا، وجري التيار في هذا الجرى . اما التشدد في رفض فرنسا فكان موافقاً لما في نفوس رجال الحركة العربية لما كانت يبدو من السلطات الافرنسية في لبنان والسواحل ومن الحكومة الافرنسية المركزية من مواقف وتصرفات مضادة ذات أثر فعال في تأريث هذا العداء، فضلا عن ما كان من اعتقاد قوي بأن فرنسا لن تبدل من سياستها ولن تخفف من غلوائها على أي حال . ومع ان الانكليز لا يقولون استحقاقاً للوم العرب على ما كان من تأمرهم مع فرنسا واقدامهم على الغدر بعهودهم لهم قبل ان يجف مداها في ما كان من اتفاقهم معها على تقسيم بلاد الشام والعراق الى مناطق استعمار ونفوذ وتجزئة بلاد الشام إلى عدة أجزاء، وان هذا يوجب على رجال الحركة العربية ان لا ينساقوا مع وحي الانكليز وتوجيههم أيضاً فمن الانصاف ان يذكر إلى جانب هذا ما كان رجال الحركة امامه من مختلف الدسائس والتيارات التي جعلتهم حيارى ومضطرين الى الارتكاز على طرف ما، وكان الانكليز هم هذا الطرف اليسور لهم لما كانوا يتظاهرون به من الصداقة للعرب ونعومة الممس معهم، ولا سيما انهم كانوا في موقف تشاد مع فرنسا وكان هذا مما يوحي او يؤمل بانفراط التوافق بينهم وبينها وبالتالي باحتمال التراجع وحسن المصافاة وتوطيد المطالب العربية . على أن الانصاف يوجب كذلك ان يذكر ان رجال الحركة العربية لم يكونوا منساقين بوحيمهم وتوجيههم كل الانسياق .

واما النقطة الثانية فمن الحق ان يقال انها كانت نتيجة للجو الذي اوجده نص ميثاق جمعية الامم من جهة والذي احس به فيصل في المؤتمر من جهة اخرى، بحيث صارت هناك عقيدة انه من الكياسة اظهار الاستعداد للاستعانة باحدى الدول الكبرى في النشأة الجديدة، بل وانه لا مناص من ذلك . على ان واضعي القرار قد احتاطوا كثيراً بحيث يكاد يصبح الانتقاد غير وارد من الوجهة الواقعية .

واما النقطة الثالثة فمع التسليم بصحة الانتقاد فان ما كان حول سوريا من جذب

ودفع وما كان من اجماعات الانكليز كان سبباً في انتحاء هذا النحو . ومع ذلك فان واضعي القرار قد سدوا الثغرة بمض الشيء بما كان من طلبهم للعراق ما طلبوه لسوريا ومن إعلان الرغبة في الاتحاد معه وعدم إقامة اي حاجز بينه وبين سوريا ومن إعلان الرغبة كذلك في الاستقلال ضمن وحدة عربية عامة . وقد اكدوا سداً الثغرة مرة اخرى حينما قرروا إعلان الاستقلال والملكية حيث اكدوا امنيتهم في استقلال العراق وروغبتهم في الاتحاد معه .

لمحة الدستور في المؤتمر

ومما يحسن ذكره في هذه المناسبة ان المؤتمر او بالأحرى رجال الحركة العربية والقائمين بالعهد الذين كانوا النافذين فيه رأوا في المؤتمر فرصة لوضع دستور الدولة السورية الموحدة المستقلة التي اعلنوا رغبتهم في قيامها ، فألف المؤتمر لجنة تمثل المناطق السورية الثلاث لذلك برئاسة هاشم الاتاسي وسكرتيرية كاتب السطور ، وقد سلخت اللجنة بضعة اشهر ، ودوست دساتير ومراجع متنوعة وعديدة ، وانتمت المشروع وقدمته الى المؤتمر في دورته الثالثة التي اعلن فيها الاستقلال والملكية ، وغدا فيها المؤتمر بعد هذا الاعلان بمثابة مجلس تأسيسي ونيابي معاً .

- ١٣ -

نصفه الثاني بين انكلترا وفرنسا

ولقد اعقب الاستفتاء حوادث متنوعة ذات خطورة في حياة سوريا ومستقبلها . ففرنسا التي ما فتئت ترى اصعب الانكليز في حركات الشام والعرب بقصد ازعاجها ومساومتها وارغامها على التسليم بالتعديلات التي تريدها ، والتي اعتقدت ان ما كان في سياق الاستفتاء من إثارة للعداء الشديد في نفوس العرب ضدها ، وما اعقب الاستفتاء من اشتداد حركة الشام ودعايتها في صدد تحقيق الأهداف التي اعلنها

المؤتمر انما هو بتأثير وحيها وتوجيهها رأت انه لا مناص لها من التسليم حتى تضمن لنفسها الحرية في العمل في سبيل تحقيق مطامعها في سوريا ولبنان ، وتنفادي نتائج الاستفتاء فيها واستمرار الانكليز في استغلاله . فلم تكذ لجنة الاستفتاء تعود الى باريس في اوائل شهر ايلول من عام ١٩١٩ حتى اتصلت باريس بلندن ، واتفقتا على عقد مؤتمر في باريس للتصفية .

حادثة استبدال الحاميات في الاقضية الاربعة

وكان الغرض الظاهر للمؤتمر الاتفاق على استبدال الحاميات الانكليزية في الاقضية الاربعة التي احقت بلبنان بعد انهيار العهد الفيصلي وحينما نودي به كبراً وهي بعلبك والبقاع وراشيا وحاصبيا بحاميات افرنسية ، واستعادة القوة الافرنسية المرابطة رمزياً في الشام الى بيروت . وقد كانت هذه الاقضية في عهد الدولة العثمانية تابعة لولاية الشام وظلت تابعة للحكومة العربية الفيصلية ، الا ان حامياتها انكليزية مما يدل على وجود خلاف عليها بين انكلترة وفرنسا من ناحية التحديد . ولقد كانت فرنسا تريد ضمها الى لبنان ليصبح لبنان الكبير ، وتدفع اللبنانيين الى المطالبة بها بحجة انها كانت ضمن حدود لبنان قبل عام ١٨٦٠ ، وحملتهم على التقدم بهذا المطلب الى مؤتمر الصلح على لسان وفد داود عمون ، وعلى اقراره كمطلب اساسي من قبل مجلس إدارة لبنان في اوائل مايس ١٩١٩ والتقدم به كذلك الى لجنة الاستفتاء الأميركية .

رحلة فيصل الثانية الى اوروبا

وقد اراد لويد جورج رئيس الوزارة البريطانية ان يقوي مركزه في المفاوضات والمساومة فدعا فيصلا الى باريس لحضور المؤتمر على ان يصل في ١٦ ايلول ١٩١٩ ، وسارع فيصل الى الابحار . ولكن كمنصور رئيس الوزارة الافرنسية احتج على دعوته وحضوره لأن فرنسا كانت منذ البسده تناوى حقه في الكلام عن سوريا

وترى في عهد الشام الذي كان رأسه والجياش بالحركة العربية عثرة في سبيل تنفيذ برناجها ، والحبحصر المفاوضات بين فرنسا وانكلتره فقط ، وعمد في ذات الوقت الى تفويت الفرصة فصدر الامر بتعويق الباخرة التي تقل فيصلاً عن الوصول الى الساحل الافرنسي فلم تصل إلا في ١٨ أيلول حيث كان المؤتمر قد عقد وانتهى وكان لويد جورج قد عاد إلى لندن .

ولقد كان من نتائج المؤتمر الرسمية إقرار الاستبدال المطلوب الذي فيه استجابة لرغبة فرنسا ، وكان مقدمة لسلخ الأفضية الأربعة عن سوريا وضمها إلى لبنان . وكان من نتائج السرية التي ظهرت آثارها بعد قليل جلاء الحاميات الانكليزية عن سوريا الداخلية باستثناء شرق الاردن لتزول بذلك عقبة من طريق فرنسا وحرية تصرفها ازاء سوريا الداخلية أيضاً . وكان هذا وذاك مقابل موافقة فرنسا على التعديلات الانكليزية بتخليها عن الموصل لتنضم الى منطقة النفوذ الانكليزي ، وبموافقتها على جعل فلسطين تحت السيطرة الانكليزية بدلا من الادارة الدولية ، وبقرارها سلخ شرق الاردن عن سوريا وجعلها تحت السيطرة الانكليزية كذلك حينما تنتهي من الاستعداد لتنفيذ برناجها الباغي واحتلال سوريا الداخلية .

وقد عينت الحكومة الافرنسية في هذه الاثناء الجنرال غورو قائداً عاماً ومزوداً بالصلاحيات الواسعة وبمدوداً بالامدادات المتنوعة ، وكانت ذلك اندازاً عملياً بالخطوة الباغية التي خطتها الى ذلك الاحتلال وهدم العهد الفيصلي حينما أتمت استعدادها لذلك بعد بضعة اشهر .

موقف انكلترا وفرنسا منه فيصّل بهما النصيب

ولما نزل فيصّل الى الساحل الافرنسي قابله مندوب من قبل لويد جورج يخبره باضطرابه الى انهاء مهمته والعودة الى لندن بسبب تأخر وصوله ، وبأنه ينتظره في لندن . ولم يرَ من الحكومة الافرنسية إلا جفاءً وتجهماً فتابع طريقه الى لندن . وهنا قيل له بصراحة انه يحسن به ان يتفاهم مع الحكومة الافرنسية ، وان يبرطانيا

لا نستطيع أن ننصحه بغير ذلك . ولما حاول الاحتجاج والتذكير باليهود والجمود والدماء والآمال سمع من اللورد كورزون وزير الخارجية ما حطم أمله وكشف له حقيقة الموقف بنفض بريطانيا يدها من القضية السورية وإطلاق يد فرنسا فيها .

- ١٤ -

أثر التصية في الشام

ومع أنه أذيع أن استبدال الحاميات هو تدبير عسكري وموقت وليس من شأنه التأثير في قرار مؤتمر الصلح النهائي ، فإن القائمين بعهد الشام أدركوا مدى الغدر الانكليزي اللئيم ، وأن ما كان من الانكليز من مواقف الجاملة والتعريض ، إنما كان وسيلة مساومة لبئع العرب ، فكان له اثر شديد اهاج الأفكار والأعصاب ، وقامت في دمشق المظاهرات الصاخبة تطالب بالدفاع وعدم تمكين الافرنسيين من احتلال الأفضية السورية .

المؤتمر والدفاع

وقد قرر الامير زيد الذي كان ينوب عن أخيه بالاتفاق مع الحكومة دعوة المؤتمر السوري للنظر في الموقف . وانعقد المؤتمر بتاريخ ٢٢ تشرين الثاني من عام ١٩١٩ في جو النادي العربي أيضاً كالمرّة السابقة وسط المظاهرات الصاخبة والأفكار الهاججة والأعصاب المتوترة ، وقد ترأس اجتماعات هذه الدورة عبدالرحمن اليوسف نائب الرئيس لأن الرئيس محمد فوزي العظم كان قد توفي . واستمع المؤتمر في جلسته الاولى الى بيان فاتر القته الحكومة كان اقرب الى التسكين والتهوين منه الى الحماسة والعزيمة . مع ما احتواه من تقرير ان هذه الحركة ليست إلا تطبيقاً لمعاهدة سايكس بيكو المجحفة . وقد قرر المؤتمر في جلسته الثانية وجوب الدفاع عن وحدة البلاد واستقلالها وكرامتها ، واقترح المساعدة الى اعلان الاستقلال واقامة حكومة مسؤولة يتق بها لاتخاذ وسائل الدفاع عن الوطن المهدد ، واذاغ على الامة بياناً يدعوها فيه الى تلبية داعي الدفاع بالمال والنفس ، ورفع قراره الى الامير

زيد وكيل الرئيس وسكرتير المؤتمر . ولا أزال اذكر مثلاً ساذجاً قوياً أورده
عبد الرحمن اليوسف في سباق تقديم القرار وتبريره حيث قال للأمير : « ان المؤتمر
قد قرر الدفاع وانه محق في ذلك . فالدجاجة يقبض عليها الذبّاح بيد وتكون
السكين الحادة الطويلة في يده الاخرى تحز عنقها ومع ذلك فانها تصرخ وتضرب
بقدميها وجناحيها دفاعاً عن حياتها . . . »

عهد الحاميات الانكليزية

وفي هذه الاثناء كانت الحاميات الانكليزية تجلو عن سوريا نتيجة للاتفاق
السري الذي تم في مؤتمر باريس وتزيد في جلائها الاعصاب توتراً ، وتثير به مخاوف
الناس الذين رأوا في هذا الجلاء ان الانكليز قد نقضوا بدم من القضية وجعلوا
سوريا امام الخطر الافرنسي وجهاً لوجه . وتم الجلاء في آخر شهر تشرين الثاني .
ومن طريف ما وقع أو بالأحرى مما يجب ان يعد من باب القصة المؤلمة اللثيمة أن
الطائرات الانكليزية أخذت تنثر وهي تجلو مع الجيش على أهل دمشق بينهم في
اعصابهم المتوترة ومظاهراتهم الهاشجة ضد غدر الانكليز وبغي الافرنسيين نشرات
تحية ووداع . وهكذا يصدق المثل الذي يقول « يقتل القليل ويمشي في جنازته ! »

عطف ياسين الهاشمي وشخصية

وقد اقدم الانكليز على عمل آخر ودعوا به سوريا وداعاً قبيحاً ، وكان له اثر
في اشتداد التوتر وازدياد المخاوف وهو اعتقالهم ياسين الهاشمي رئيس الجيش والذي
كان يعتبر الرأس المدير الذي يخشى جانبه في الشام في هذه الظروف التي تجيش فيها
العاطفة والحساس باسلوب احتيالي ، حيث دعوه الى تناول الشاي في المعسكر قبل
الغروب ومن هناك ارسلوه مخفوراً الى الرملة في فلسطين واعتقلوه فيها .
ولقد كان لياسين شخصية قوية في هذا العهد جعلته محترماً مرهوباً . وكان من
أركان الفتاه وعمدها ، وكثيراً ما كانت كلمته هي الفاصلة ورأيه هو الحاسم في ما
كان يجري من مناقشات ويرسم من خطط . وأحسن وصف يمكن ان يوصف به انه

كان يفرض نفسه فرضاً ، فيفتقد في الغياب ، ويسبغ على الجلسة التي يشهدها خطورة وثقة ، ويناط به الفصل في المهيات ، ويرى في ما يديه من رأي ويرسمه من خطط صواب وبعد نظر وقوة نفوذ. وكان حاسماً في رأيه جدياً في مظهره ، قليل الكلام والمزاح بعيد الغور ، يوحى لمخاطبه وجود خطورة وراء مظهره الصامت الجاد ورأيه الحاسم وغوره البعيد . وكان يقع بينه وبين الحاكم العام رضا الركابي الذي هو الرئيس الفعلي للإدارة نشاد وتجادب في اوقات كثيرة ، وكان هذا من أهم ما كان يشغل بال القائمين بالامر وأعضاء الفتاة البارزين خاصة ، وكان اتجاههم اليه وثقتهم به أكثر حتى كانوا في الامم الاغلب في صفه ، ويعتقدون ان الحاكم في موقف الباغي الكائد ، وهذا بما زاد من مكانة ياسين وقوة شخصيته ايضاً . وقد كان من المؤيدين المحرضين على منع الاحتلال الأفرنسي للاقضية الاربعة بعكس ما كان يبدو موقف الثاني الذي كان ينجح إلى التسكين والتهوين ، وكان هذا بارزاً في البيان الذي القاه في المؤتمر كما نبهنا عليه من قبل حتى لقد فضل الاستقالة من منصبه بعد انتهاء الازمة على السير في سياسة تخالف هذه السياسة . ولا يبعد ان يكون مرد هذا إلى خشية الفشل والرغبة في تقادي القتال على غير استعداد . ولقد كان ياسين قطب رحي العراقيين القوميين ، وما كانوا بسبيله من محاولات في صدح حركات العراق وتموينها وتمويلها وإنجاحها ، وهذه مسألة كانت تهم الانكليز وتشغل بالهم . وهكذا كان محسوب الحساب من الافرنسيين والانكليز معاً فلا غرابة في إقدام الانكليز على خطفه قبل مغادرتهم الشام حتى لا يبقى وراءهم ما يخيفهم ، وفي أن يكون هذا نتيجة تفاهم بينهم وبين الافرنسيين بعد أن تمت تصفية الموقف بينهم .

ولقد قيل ان للركابي اصعباً في اعتقاله ، وكان التشاد والتجادب بين الرجلين مما جعل الناس لا يستبعدون ذلك . ولكن هذا القول بقي في دائرة التخمين والتخبر ولم يؤيد بشيء وثيق . على ان الانكليز والافرنسيين لم يكونوا في حاجة الى من يحرضهم على الرجل ، حيث كانوا أعرف الناس بقوة شخصيته وخطورته وخطره .

ولقد كان خطف الهاشمي ذا أثر شديد على الناس أدى إلى ازدياد هياجهم

وصخبهم وتوتر أعصابهم، ورأوا فيه حلقة من حلقات المؤامرة الانكليزية الافرنسية الباغية . وكان نذيراً جديداً من الانكليز في صدد منع اي حركة من حركات المقاومة لتنفيذ الاتفاق، كما ان حكومة لندن حملت فيصلاً وكان ما يزال هناك على الابواب لأخيه موصياً بالهدوء والتوقي من الصدام الدموي . فكان هذا وذاك مشبطاً للغزائم ومسيباً في عدم وقوع حركة دفاعية رسمية . وكل ما كان من امر مصادمة بين القوي الافرنسية التي قدمت الى بعلبك وبين بعض العصابات في هذه الناحية هيأتها الحياة المركزية للقتاة بواسطة بعض أعضائها من بني حيدر وذهبت فيها بعض الضحايا من الفريقين ، وكانت كاحتجاج رمزي دموي من ضعيف تجاه عدو قوي العدد والسلاح .

على ان ما كان من هياج الشام وتوتر أعصابها اوحى بمحاولة تسكينية فبعرت مفاوضات اشتركت فيها حكومة الشام ، وانتهت الى الاتفاق على بقاء إدارة الاقضية الاربعة في يد هذه الحكومة ، وسحب القوي الافرنسية من بعلبك ، والاكتفاء بإقامة ضابط ارتباط افرنسي فيها وآخر في راشيا ورهط افرنسي في رباتق .

التجديد والتجربة الوطنية

ولقد نهبت هذه الحادثة الافكار اكثر من ذي قبل الى ما يمكن ان تتعرض له سوريا من مواقف عصبية باغية ، والى واجب التفكير في اعداد ما يمكن إعداده من الوسائل الدفاعية . فكان من ذلك ان قررت الحكومة التجنيد الاجباري ، وان انشئت اللجنة الوطنية في دمشق . اما التجنيد الاجباري فلم يأت في هذه الحقبة بشمرة ذات بال لانه كان ينقصه المنفذ القوي والمال والوسائل الفنية الاخرى، وكان الانكليز هم مصدر المال والوسائل أو اهم مصدر له ، ولم يغيروا موقفهم السابق الذي اشرفنا اليه من التجنيد وانشاء جيش سوري ، بل ازدادوا عناداً فيه لان المشاكل بينهم وبين الافرنسيين قد انتهت ، ولم يكن يعقل ان يشجعوا العرب على ما من شأنه الاخلال بما تم الاتفاق عليه او عرفته . ولم يؤت القائون بأمر العهد

عزيمة قوية تساعدهم على تديير هذا الامر باسلوب آخر ومن مصادر اخرى . وأما اللجنة الوطنية فان فكرتها نشأت في الحقيقة اثناء الازمة، حيث اخذ وجهاء الاحياء الدمشقية وشبابها يجتمعون بتوجيه رجال العهد للاستعداد للدفاع ، وأمكن تأليف لجنة عامة مؤلفة من مندوبي الأحياء ، ثم اشتركت الهيئات والأحزاب في هذه اللجنة ، ولم تلبث ان اصبحت مظهراً شعبياً على شيء من الخطورة بسبيل الحركة الوطنية والدفاعية . وكان الشيخ كامل القصاب هو رئيس هذه اللجنة التي ظلت قائمة الى آخر العهد الفيصلي .

- ١٥ -

حوادث تلخلخ وإثرها

وجاء فيصل من لندن الى باريس بناء على نصيحة لندن محطم الامل والاعصاب بعد ان رأى وسمع من الانكليز ما رأى وسمع . ولبت في باريس بضعة اسابيع شبه مهمل وكان لهذا وقع موجه اليم في الشام ؛ ولم تلبث ان اخذت تبدو بوادر العصيان المسلح ضد السلطات الافرنسية في جهات تلخلخ يدبرها ابطال الدنادشة . وقد كانت صلة رجال العهد والفتاة في الشام وثقى بهم ؛ فأمدوهم وشجعوهم حتى لقد اندمج بعض اعضاء الفتاة معهم في الحركات والروحات والغدوات . وقد كان لهذه الحركة اثر قوي في نفسية فيصل الذي انتعش بها اشد الانتعاش ، وفي اعصاب الافرنسيين الذين رأوا فيها بوادر متاعب قد تقوم في وجوههم في هذه البلاد بعد ان حسبوها برداً وسلاماً ؛ ولا سيما ان حركات ثورية اخرى كانت تنشب هنا وهناك وهناك وتنطوي على مثل هذه البوادر وان كانت ضيقة المدى . فرأوا ان يجنحوا الى الدهاء والتخدير واتصلوا بفيصل بعد ذلك الاهمال الموجه واخذوا يظهرون له الحفاوة ، ثم اجتمع بكلمنصو وجرت احاديث مشجعة انتهت الى وضع نص الاتفاق المعروف باتفاق فيصل - كلمنصو ووقع بالحروف الاولى على ان يحمله فيصل ويعرضه على اهل الرأي في البلاد .

اتفاق فيصل - كلمنصر

وعاد فيصل الى الشام في اواسط كانون الثاني من عام ١٩٢٠ ، واخذ يقوم باتصالاته واستشاراته ، ويقص على مستمعيه ما رأى وما سمع . ولقد كان الاتفاق محتويًا الاسس التالية :

١ - اعتراف فيصل بحاجة سوريا الى التنظيم والاصلاح وطلبه هذه المهمة بامم السوريين من فرنسا .

٢ - ضمان فرنسا لاستقلال سوريا وحدودها .

٣ - حصر المستشارين والمدربين والموظفين الفنيين اللازمين لتنظيم الادارتين المدنية والعسكرية في الافرنسيين بواسطة الحكومة الافرنسية .

٤ - حق المستشار المالي الافرنسي في اعداد ميزانية النفقات والواردات ووجوب تبليغه جميع التعهدات والنفقات ، وحقه في مراقبة حصة سوريا من الديون العامة ، وتطبيق الشروط المالية الناجمة عن معاهدة الصلح مع تركيا فيما يتعلق بسوريا .

٥ - حق مستشار الاشغال العامة في الاشراف على الخطوط الحديدية .

٦ - حق الحكومة الافرنسية في الاولوية التامة بالتعهدات والقروض ، والموافقة على قيامها بمهمة تنظيم الدرك والشرطة والجيش .

٧ - حق الحكومة الافرنسية بتمثيل مصالح سوريا الخارجية بواسطة ممثلها السياسيين وقناصلها .

٨ - الاعتراف باستقلال وسلامة حدود لبنان تحت الانتداب الافرنسي .

٩ - جعل اللغة الافرنسية اجبارية التدريس بصورة ممتازة .

١٠ - تمثيل فرنسا في سوريا بواسطة مندوب سام .

١١ - الاستقلال الذاتي لجبل الدروز .

١٢ - حرية ميناء مي اسكندرونه وبيروت .

١٣ - استفتاء اقليات لبنان عند تحديد حدوده .

فصل والاتفاق

وقد خطب فيصل اكثر من مرة في بيوت متعددة كان يقام له فيها حفلات ويشهدها جمهور من وجوه القوم ومتنورهم . وكان في خطبه مؤيماً مرة ومطمعاً اخرى ، ومقدم رجل تارة ومؤخرها اخرى ، وناعياً على الشعب اكتفاءه بالاقتوال وعدم اظهاره حماساً واستعداداً للافعال ، ومذكراً بأنه في المواقف التي يقفها والامور التي يعالجها انما يستلهم ضميره وقناعته وخوفه من التاريخ ، وبأن الواجب يقضي بعدم التشدد بالعداء لاحد وعدم احتقار دولة من الدول ، مما يدل على ما كان يشعر به من خوف ويأس والم وخيبة كما يدل على انه كان في قرارة نفسه يفضل الجنوح الى قبول الاتفاق .

موقف المؤتمر والاهزاب من الاتفاق

ولقد وقف الناس إزاء هذا الاتفاق موقفين . ففريق وجد الحالة حرجية وانه لم يبق باب رجاء إيجابي إلا الموافقة عليه ، ولا سيما بعد نفض ايديهم ووقفهم موقف الغادر اللثيم ، وليس هناك استعداد وقدرة على المخالفة والمقاومة ، وكان هذا يجد هوى في نفس فيصل ، وفريق وقف موقف الراض المستنكر ، ورأى في النصوص خيبة أمل عظيمة ، وتناقضاً كبيراً بين الأمل الواسع والمعروض التافه الذي لا يخرج عن معنى الحماية والسيطرة ، ووجد نفسه بين امرين : إما التسليم لفرنسة والرضوخ لسيطرتها وانتدابها وحمايتها ، وفي ذلك اندحار صريح من ناحية الأمل والمبدأ والهدف ، وتسجيل شنيع ضد حقوق الأمة وجهادها وضحاياها ، ووقوع في قبضة فرنسة وسيطرتها بالرضاء والطوع مع ما يعرفونه من تصرفاتها الباغية في لبنان والسواحل ثم في المغرب العربي ؛ وإما الرفض وفي هذا تأكيد للأهداف وتأييدها ولحقوق الأمة وجهادها وضحاياها . وكان معظم الفريق الأول من الشيوخ والوجهاء كما كان معظم الفريق الثاني من رجال المؤتمر والفتاة وحزب الاستقلال والهيئات القومية الاخرى الذين كانوا في غمرة من الحماس والنشاط والدأب مندفعين بقوة الروح التي خلقتها الحركة العربية التي

انتهت بالثورة ، ثم بقوة الروح التي خلقتها كذلك الحرب والمبادئ التي اعلنت فيها ، وبقوة الحق التي كانت تقوم عليها القضية العربية ، وبقوة الحقد الذي امتلأت به صدورهم من غدر الحلفاء ومكرهم . على ان هذا الفريق لم يتجاهل ضعف الأمة امام الاجنبي الطامع ، وضعف الامل بمساعدة الانكليز وتعظيمهم ، واحتمال وقوف فرنسا موقف الشدة والعنف والاندحار امامها في النهاية . غير انه رأى أن البلاد تكون من حيث النتيجة امام أمر واحد وهو خضوعه للسيطرة الافرنسية بالرضاء أو الكره ، ورأى أن فرض السيطرة الافرنسية بالكره والقوة لا يضيع على الأمة حقاً ولا يقيد بها قيود المهانة والحزني ، ولا يقمع من روح مقاومتها ونضالها في سبيل الاستقلال التام ، بعكس الحال في قبول السيطرة والرضاء بها . وقد اقترح البارزون من هذا الفريق أن تقف سورية موقف المتمردين على ما يراه لها من ذل وعمليت به من غدر ، وتحدث امراً واقعياً باعلان استقلال سورية بجميع اجزائها استقلالاً تاماً وملكية الامير فيصل عليها طبقاً للرغبة التي اعلنها المؤتمر في قراره الذي قدمه الى لجنة الاستفتاء ، والذي تطابقت فيه الاكثوية العظمى من سكان جميع الانحاء السورية ، واعتبار ذلك حقها الشرعي والطبيعي ، هذا الى ما وقع في نفوسهم من احتمال جواز هذا الامر الواقع بصورة من الصور ولو بالنسبة لسورية الداخلية . وقد كان رأي هذا الفريق هو رأي معظم رجال الحركة والهيئات القومية واعضاء المؤتمر كما قلنا . وبالرغم من محاولات الفريق الاول ومحاولات فيصل نفسه فقد كان رأي هذا الفريق هو الغالب السائد .

وبما وقع في سياق التشاد والتدافع حول الاتفاق أن يفصلا طلب من الهيئة المركزية للفتاة رأياً خطياً تقدمته له ، ثم دعا كل عضو من اعضائها لحدة وطلب منه رأيه الخطي تقدمه له ، ثم طلب عقد اجتماع لمؤسسي الفتاة فاجتمعوا ، ومع ما وجه من حملات انتقادية الى الهيئة المركزية ومع انتهاء الامر الى استقالة الهيئة واختيار غيرها لانها شعرت أن الحملات كانت مديرة لاجراجه فان اكثوية المجتمعين قررت رفض الاتفاق والسير في خطة احداث الامر للواقع المذكورة . فلم يسع فيصلا الا التسليم برأي الفريق الثاني واهمال الاتفاق والسير في الخطة المرسومة .

الدور الثاني من العهد الفيصلي

٨ مارس - ٢٤ تموز ١٩٢٠

- ١ -

اجتماع المؤتمر واعادته الاستقلال والملكبة

وقد دعي المؤتمر السوري الى الاجتماع للنظر في الموقف فاجتمع بتاريخ ٦ مارس ١٩٢٠ في بهو النادي العربي ايضاً ، واختير للرأسة هاشم الاتاسي ، واستمع الى بيان مفصل من فيصل عن القضية العربية وحق العرب باستقلالهم وحريتهم ، وما بذلوه في هذا السبيل من تضحيات ، وما كان من مواقف الخلفاء منهم ، وذكرهم بالمهمة الخطيرة التي يضطلعون بها ، و اشار الى وجوب تقرير شكل الدولة التي يرغبون فيها ووضع دستورها ، وعدم نسيان النص على التضامن والاتحاد مع العراق في الحياة الجديدة التي تستقبلها البلاد .

ولقد كانت الافكار متطابقة كما قلنا على الحطة بحيث يمكن ان يقال ان المؤتمر انما اجتمع للتنفيذ اكثر منه للبحث ، فلم يلبث ان قرر في جلسته الثانية التي عقدها في اليوم التالي وسط عاصفة من الحماس والعاطفة في داخله وخارجه اعلان استقلال سورية بحدودها الطبيعية والمناذاة ب**فيصل ملكاً** دستورياً عليها . ووقع القرار من جميع اعضاء المؤتمر وقدم لفيصل بواسطة وفد من المؤتمر . وقد جاء فيصل بموكب رسمي الى المؤتمر حيث شكر المؤتمر وعاهده على الجهد في العمل لتحقيق امانه البلاد ، واذيع القرار في ٨ مارس من قبل عزة دروزه سكرتير المؤتمر من على شرفة البلدية على الالوف المحتشدة في ساحة المرجة التي كانت تغمرها عواطف الحماس الجياش . وقد كان العلم السوري الجديد مرفوعاً اذ ذاك ، وهو نفس علم الثورة مضافاً اليه نجمة واحدة بيضاء في المثلث الاحمر ، وكانت المدافع تطلق طلقاتها احتفاء بهذا الحدث التاريخي العظيم .

وقد احتوى القرار في ما احتواه تبرير هذا العمل واستناده الى حق الشعب

الشرعي ودمائه المهرقة في سبيل حريته واستقلاله ، والى وعود الحلفاء ومبارديه
الرئيس ويلسون ، والى اشتراك العرب في الحرب الى جانب الحلفاء وقيامهم
بنصيبهم في ما ناله الحلفاء من انتصار شهد باثره كثير من قواد ورجال الحلفاء ،
واحتوى كذلك مطالبة الحلفاء بالجلاء عن مختلف الانحاء السورية ومراعاة اماني
اللبنانيين الوطنية في كيفية ادارة مقاطعتهم على ان يبقى بمنأى من كل تأثير ونفوذ
اجنبي ، واعتبار المؤتمر مجلساً نيابياً وتأسيساً تكون الحكومة مسئولة امامه الى
ان يمكن جمع مجلس نيابي منتخب آخر ، واعلان حق العراق بالاستقلال على ان
يكون بينه وبين سورية اتحاد سياسي واقتصادي نظراً للروابط التي تجعل القطر
الواحد لا يستغني عن الآخر .

الدولة الجديدة

واقامت حفلة تنصيب ومبايعة رسمية للملك في دار الحكومة فبايعه عدا اعضاء
المؤتمر كبار الشخصيات الاسلامية والمسيحية الدينية والمدنية ، وكان ممن حضروها
المعتمد الافرنسي . اما المعتمد الانكليزي فانه تغيب عن دمشق . واحيط فيصل
بابه الملك في قصره وبطانته ومراسمته ، وتألقت اولى وزارة دستورية برآسة رضا
الركابي روعي في تشكيلها تمثيل الساحل والجنوب ايضاً حيث عين رضا الصلح
وزيراً للداخلية وسعيد الحسيني وزيراً للخارجية .

وقد القت الوزارة بيانها الوزاري امام المؤتمر السوري الذي احتوى اعلان
رغبة المسالمة والولاء للحلفاء كسياسة خارجية والعمل على تحقيق اهداف الأمة
وترقيتها في مختلف شؤونها كسياسة داخلية ، والرجاء من المؤتمر بوضع دستور
الدولة الجديدة فزال الثقة منه .

وأخذت الآلة تدور على الأسس الجديدة . وقد اهتم لتنظيم فروع الادارة
تنظيماً ثابتاً ، والسير في ما يجب السير فيه من خطط إصلاحية و عمرانية وتعليمية ،
كما اهتم لتقوية الجيش في عدده ومعذاته وإقامة بعض التحصينات الدفاعية الرسمية
وتقوية بعض التشكيلات الدفاعية الشعبية ايضاً استعداداً للطوارئ .

ولقد حرص القائمون بالعهد أن يجعلوا لكل وزير من الوزراء الذين كان معظمهم من الشيوخ مساعداً قوياً في معارفه وهنئه وعقله من الشباب أو ما في أفقهم ليسكن تسيير أداة الحكومة تسييراً حسناً تقدماً ومنتظماً مع مقتضيات العهد والظرف والعصر من جهة ، وليمكن تخريج فريق من هذه الطبقة ونهشته لاستلام مقاليد الأمور مباشرة في الوقت المناسب من جهة ثانية . ومن جملة ما كان من ذلك تعيين امين التميمي مساعداً لرئيس الوزارة ويوسف العظمة لوزير الحربية وصبحي حيدر لوزير الداخلية وجميل مردم لوزير الخارجية .

والحق إن العهد الجديد بالرغم عما كان يحدق به من أخطار ويقوم امامه من عثرات ويحيط به من مشكلات ويجري فيه من تيارات قد أخذ يسير في اتجاه إيجابي من شأنه أن يبعث على التفاؤل وأن يرهن على صلاحية الأمة ، ويحقق ما كان يترسمه رجال العهد من آمال إصلاحية واسعة .

- ٢ -

المؤتمر في العهد الجديد

وقد اعد جناح واسع من بناية العابد الكبيرة في المرجة للمؤتمر السوري فانتقل اليه بعد قليل من اعلان الاستقلال ، ووضع لائحة لادارته الداخلية ، واختار نائبين رئيس واربعة سكرتيرين ومرافقين ، وألف لجاناً لدراسة المواضيع وغير ذلك مما يتسق مع صفته الجديدة كمجلس تأسيسي ونياي معاً . وقد تشكل في داخله حزبان نيايان أحدهما حزب التقدم وثانيها الحزب الديمقراطي . واندماج في الاول أعضاء الفتاة والاستقلال ومؤيدوم ، وفي الثاني الأعضاء الذين يحرصون على الفتاة أخطاءً وينقمون عليها ذلك سواء كان الدافع بريئاً أو غير بريء : ومن اندمج فيه كذلك بعض الوجهاء والأعيان من نواب دمشق وغيرها . وكانت مفارقة طريفة في تسمية هذا الحزب مع اندماج هؤلاء فيه . وخصص لكل حزب مكان اجتماع خاص في الجناح ؛ فكان كل حزب يجتمع لخدمة لدرس المواضيع المهمة

للمناقشة وتكوين رأي ثابت نوعاً ما فيها . وكانت اكثرية المؤتمر مندوحة في حزب التقدم الذي كان بمثابة حزب الحكومة بينما كان الحزب الديمقراطي بمثابة حزب المعارضة . وفي هذا تعبير عن الحقيقة في الواقع حيث كان الأول يمثل الفتاة والاستقلاليين ومؤيديهم وبالتالي يمثل العهد الفيصلي بملكه وحكومته ورؤساء دوائره ؛ بينما كان الثاني يمثل المتذمرين والمعارضين والناقمين . ومن طريف ما كان ان رياض الصلح الذي هو عضو في الفتاة اندمج في الحزب الديمقراطي وكان من أسننه الذرية مع حسن صلاته واندماجه في الفتاة وحزب التقدم ؛ حتى لقد اعتبر بعضهم اندماجه في الحزب الديمقراطي لعبة من لعب الفتاة الحزبية .

ولقد اسبغ المؤتمر على نفسه الجد والوقار المتلائمين مع مهمته وحسن ادراكه لها . وكانت مداولاته قوية رصينة وخاصة في مشروع الدستور الذي كانت لجنة الدستور قد وضعت ، والذي كان من اهم مشاغل المؤتمر المستمرة ؛ حتى ليصح ان يقال إن ما وسع الوقت لافراره فيه من مواد هذا المشروع قد جاء قوياً محكماً تقديمياً . ولقد كان عدد كبير من اعضائه شباباً من ذوي الشهادات والكفآت الثقافية والعصرية فساعد هذا على ما جاءت عليه هذه المواد من القوة والاحكام والتقدمية . ولا تزال نذكر المداولات التي جرت في حقوق المرأة السياسية ومساواتها فيها بالرجل حيث كان جمهرة الاعضاء يرون حقوقها في ذلك طبيعية وكان ممن اندمج في هذا النقاش وايد تلك المساواة وهذه الحقوق الشيخ سعيد مراد الغزي من نيري رجال الدين والحقوقيين الشرعيين ، فأسبغ موقفه على الموضوع خطورة ملموسة من ناحيته الايجابية . ولقد كان إقرار المواد المتصلة بهذه الحقوق ميسوراً جداً لان الاكثرية كانت مضمونة . ولم يمنع من إقرارها إلا ما لاحظته بعض العقلاء من عدم ملاءمة الظروف القائمة وخشية اتخاذ الرجعيين والناقمين ذلك وسيلة للتشوبش على العهد . ولو لم تكن هذه الظروف لسجلت سوريا سبقها إلى اقرار هذه الحقوق للمرأة على جميع البلاد الشرقية والاسلامية وبأسلوب قوي واسع على أن الحظ اسعفها لتكون السباقة على البلاد العربية الى اقرار شيء من هذه الحقوق في عام ١٣٦٨ - ١٩٤٩ .

المؤتمر العراقي في الشام

وبما يجدر تسجيله في هذا السياق أن رجالات العراق القوميين الذين كان منهم عدد غير يسير في دمشق عقدوا بالتطابق مع رجال العهد الفيصلي مؤتمراً في نفس اليوم الذي عقد فيه المؤتمر السوري ، وقرروا فيه اعلان استقلال العراق وملكبة عبد الله بن الحسين عليه على أن يكون متحداً سياسياً واقتصادياً مع سوريا متطابقاً في ذلك مع ما قرره المؤتمر السوري بالنسبة للعراق ، وأذيع قرار العراق في نفس اليوم ومن على شرفة البلدية كذلك ، واذا لم تخنى الذاكرة فان توفيق السويدي هو الذي أذاع البيان ، فكان في هذا التوفيق للأهداف العليا للفكرة العربية والحركة القومية . وقد اتخذ العراقيون لدولتهم الجديدة علم الثورة مضافاً اليه نجمتان بيضاران في المثلث الأحمر فكان في العلمين الجديدين السوري والعراقي رمزاً للوحدة والثورة العراقية معاً . والعلم العراقي ظل على ما هو عليه حينما تحقق استقلال العراق بعد ثورته الدامية تحت ملكبة فيصل . اما العلم السوري فطوى عن سوريا الداخلية عقب انهيار العهد الفيصلي واحتفظ به في شرق الأردن الذي ما لبث ان سلخ عن سوريا الداخلية وغدا تحت الانتداب البريطاني وانشتت فيه الامارة الهاشمية العبدلية . وحينما صنع للسوريين ان يضعوا دستورهم عام ١٩٢٨ وان تقوم جمهوريتهم الأولى عام ١٩٣٢ ببدل وضع العلم ، مع الاحتفاظ بالألوان الأربعة وجعل في ابيضه الأوسط ثلاث نجوم حمراء .

- ١٨ -

تعليقات حول رفض اتفاق فيصل كليمنصر

هذا ، ولقد انتقد فريق من الناس رفض اتفاق فيصل كليمنصر واعلان الاستقلال ، واعتبروا العمل تسرعاً وطيشاً وسبباً للكارثة التي هدمت العهد الفيصلي ؛ وحملوا مسؤولية ذلك على الفتاة والاستقلاليين خاصة . ومنهم من زعم أن نصوص الاتفاق ليست شديدة الوطأة ، وأنها بما تسبغه حوصلة أمة ضعيفة لاعادة لها ولا انصار .

وقبل كل شيء نقول انه لم يرتفع صوت قوي بانتقاد أو اعتراض في حينه لا من صفوف الجمعيات والأحزاب ولا من الشخصيات البارزة ولا من أعضاء المؤتمر في داخه وخارجه . فجميع هؤلاء أو أكثرتهم الساحقة كانت متطابقة ولبسوا جميعهم من الفتاة والاستقلاليين ، بل كثير منهم كان خصماً أو مجرداً لهم . وإذا كان وقع شيء من انتقاد في حينه فانما كان همساً خافتاً غير مسموع . ولا يصح ان يعزى هذا الى الخوف من رجال العهد او الفتاة والاستقلاليين فانه لم يقع حادث ارهابي ما في ذلك العهد على كثرة المجرحين والطاعنين والمنتقدين والجواسيس والمتلاعبين والدسامين المأجورين وغير المأجورين بل والذين لم يكن اندماجهم مع الأفرنسيين سرّاً خفياً ؛ فضلاً عن ما كان من ميل فيصل اليه ميل اليأس من نفسه وحلفائه ؛ وإنما لأن ذلك لم يكن سائغاً لا من قبل السواد الأعظم ولا من قبل الاوساط الوطنية والقومية على السواء ؛ هذا الى ان الهمس الخافت انما كان من أناس ليست لهم صلة بالحركة القومية والنضال القومي على الاغلب . اما من ناحية نصوص الاتفاق فهي موجودة وقد نقلنا خلاصتها ، وكل منصف عاقل فيه إحساس بقومية ووطنية وكرامة قومية ووطنية اذا درسها وذكر في الوقت نفسه ظروف عهد الشام وما قبله لا يمكن الا ان يرى فيها ضربة شديدة على الآمال الواسعة التي كان رجال الحركة يبنونها في صدد تحقيق أهدافهم .

والانتقاد غير الهماس إنما كان في الحقيقة بعد انهيار العهد الفيصلي . والمنتقدون أقسام ، منهم ذور نيات حسنة ومنهم مفرضون حاقدون ومنهم ضالعون مع الاجنبي . والأولون كانوا على الاكثر من المتفرجين ، انكسرت قلوبهم من فظاعة ما وقع فأخذوا يضربون كفاً على كف ويندبون الطالع المنكود ، وبوجهوت النقد واللوم الى هذا وذاك ، ويستجيبون الى دعاة اللوم والتجريح بسهولة وهذه حالة مألوفة عامة في كل زمن ومكان . وقد تأثر هؤلاء الى حد كبير بدعاية الفريقين الأخيرين التي اخذت نبت ، وانساقوا وراها دون ان يتثبتوا من الصحيح والزائف ودون أن يحصوا الأمور ويتدبروا الظروف والوقائع . ولعل ما كان من تفاهم فيصل مع انكلترا في أمر العراق وما كان من ظواهر ومظاهر استقلال العراق نتيجة لذلك كان من المؤثر في موقفهم الانتقادي . والمفرضون الحاقدون

اندفعوا في انتقادهم بسائق الهوى والحزبية والشخصية ، فمنهم الخائق حرمانه بما كان يتوق اليه من منصب وجاه ، ومنهم المغيظ من بروز الفتاة والاستقلاليين الذين قبضوا على زمام العهد فوجدوا في النتيجة المشثومة مجالاً للنقد والتجريح والتشفي . ومن الظواهر العجيبة التي تدل على الضعف الاخلاقي ان كثيراً من أفراد هذا الفريق وزعمائه كانوا مندجين في حركة الشام وعهد فيصل قبل اعلان الاستقلال وبعده ، وكان منهم البارز فيه ، ومنهم المتضامن مع العاملين فيه والمشارك في مسئولته واحداثه ، ومنهم الاعضاء في المؤتمر والموقعون على القرار والمسارعون الى البيعة ، ولم يرتفع منهم اي صوت او رأي او معارضة ضد ما وقع وتقرر في حينه ، بل كان منهم المتظاهر بالمعارضة والعناد والتعننت اكثر من غيره . اما الضالعون مع الاجنبي فامرهم هين . فقد كان الاتجاه الذي وجهوا فيه هو اخناد روح القومية والوطنية بالتهديم والتعطيم والتثريب والتثييط وابرار ضعف الامة وعدم استطاعتها الوقوف امام فرنسا والنضال معها ، وضرورة مسايرتها والحالة كذلك ، واخذ ما يمكن اخذه ما دام لا يمكن اخذ الكل ، وجعل السواد يفقد ثقته برجال حركته ونضاله . ولقد اثبتت الأيام ان الفريق القومي الذي قاد حركة الرفض للخضوع لانتداب فرنسا ونفوذها والتمرد على ما اريد للامة من ذل وهوان كان على حق في فكرته وموقفه وان الامة قد ظلت تؤيد في ذلك وان الندم على ما كان من عدم الموافقة على اتفاق يقوم على اساس الاعتراف بالانتداب والسيطرة الأفرنسية لم يكن صادقاً معبراً عن رأيها ، وذلك في الثورات التي ثارتها ثم في الالتفاف حول رجال حركتها النضالية الوطنية الذين كانوا يرفضون باستمرار كل عرض يقوم على مثل هذا الاساس ، والذي كان يعرض عليهم باشكال متنوعة واوقات متفاوتة من بعد عهد فيصل ، تخلصاً من الموقف السلبي الذي وقفته والذي كانت تتجلى فيه روح المقاومة بكل شدتها وروح الرغبة في الحرية والحرارة والاستقلال بكل قوتها ، وفي تأييدها لهم واستجابتها الى دعوتهم وتضعيتها بالمال والنفس وتحملها الشدائد والبغي في سبيل ذلك . ولقد اعيا الامر الافرنسيين اخيراً بعد حبوط التجارب العديدة والعروض المتنوعة وبعدهم الأشخاص الذين نصبوهم وحاولوا ان يقيموا امرهم على أيديهم فلم يجدوا مناصاً من العدول عن التجارب ،

والاذعان للحق ومد اليد الى رجال الامة والحركة والموافقة على عقد اتفاق لا يقوم على ذلك الأساس ، ويحتوي اعترافاً صريحاً بسيادة الأمة واستقلالها ، فكان ذلك العهد الوطني الذي قام عام ١٩٣٦ على ايدي رجال كانوا أو كان جلهم يمت الى المؤتمر والفتاة والاستقلال ، وهم الذين يوجه اليهم اللوم والتجريح ... ومن القريب أن من الذين انتقدوا الفكرة في ما بعد مع اندماجهم في مسئوليتها وتشدهم في عهد فيصل وقفوا في معاهدة عام ١٩٣٦ موقف المخرج ورأوا فيها تساهلاً او تفريطاً في حقوق الامة وضحاياها ! وفي هذا البرهان الساطع على الغرض والهوى .

ونحن اذ نشير الى معاهدة عام ١٩٣٦ لا نريد ان نقول انها كانت متطابقة مع الاهداف والمبادئ التي كان يعمل لها رجال الفتاة والمؤتمر والحركة العربية ، وانما اردنا التدليل بها استطراداً الى تصوير موقف الغرض والهوى . اما المعاهدة فقد كان رأينا فيها انها تصح ان تكون محطة يوقف عندها للاستجمام ، وكتبنا بهذا الى بعض اخواننا من اقطاب عهد هذه المعاهدة .

- ٣ -

وعهد الاستقلال والملكية قد استمر اربعة اشهر ونصف ٨ مارس - ٢٤ تموز ١٩٢٠ . وقد كان سلسلة متصلة الحلقات من التوتر والقلق والغدر والتآمر .

الانكليز والعهد الجديد

فالانكليز كانوا اول من ابدوا الجفاء في تغيب معتمد عن دمشق لثلاثين يومين حفلة التنصيب والتهنئة مع ان زميله الافرنسي الذي كان الاولى بالجفاء والتغيب

شهد الحفلة وهنا مع المهنتين . (١) وقد بادر الجنرال اللنبي الى الابراق فيصّل يعلنه ان ما جرى هو في حكم العدم . وكان الملك بعث نوري السعيد موفداً من قبله إلى باريس ولندن ليبسط لحكومتها أسباب ما كان ويؤكد لها الرغبة الصادقة في الولاء والتعاون ، وحمله كتابين منه ولكن الحكومتين أجابته بعدم الاعتراف بقرار المؤتمر ودعته الى اوروبا لبسط قضيته . ويبدو ان ذكر فلسطين والعراق خاصة قد اغاظ إزكلترا حيث سارع اللورد كورزون وزير الخارجية إلى الابراق إلى فيصل يقول إن بريطانيا لا تعترف لأي هيئة في دمشق بحق التكلم عن فلسطين والعراق ، كأننا غدا هذان الاقليان ملكاً لها فلم يعد لأهلها حق الكلام عنها ، ولقد كانت من القحة ما جعلها تصم اذانها وتغلق ضميرها أمام صرخات الشعب العربي برمته في فلسطين طيلة ثلاثين عاماً ! وقامت السلطات الافرنسية في الساحل بالتأليب على دمشق وقرار مؤتمرها تهدف به إلى بث الخوف في النصارى وخاصة في المواردنة من العروبة والاسلام وفيصل والشرفاء الخ .

مؤتمر سان ريمو وتوزيع الانتدابات وأثره في الشام

وفي ٢٦ نيسان ١٩٢٠ قرر الحلفاء في مؤتمر سان ريمو توزيع الانتدابات واعطي لفرنسه الانتداب على سوريا ولبنان ، ولانكلترا على العراق وفلسطين مع شرق الأردن ، فكان ذلك تتويجاً لغدر الحلفاء للعرب وتأمرهم على بلادهم والذي بدأ في أثناء الحرب وقبل أن يجف مداد عهود بريطانيا للحسين وهكذا سجل هؤلاء الحلفاء الأعداء على أنفسهم في قرارهم هذا عار الكذب والغدر والخديعة والمتاجرة

(١) جاء في كتاب الثورة العربية ج (٢) ان رضا الركابي لما استشير في اعلان الاستقلال أبدى ملاحظة على ما في هذا من استعجال وان فصلاً قال له انه متفاهم على ذلك مع فرنسا ، وان فيصلاً زار بيروت قبل الاعلان والتقى بغورو واستمزجه في الأمر فلم يبد منه اعتراض . ولبس عنده ما يثبت هذا او ينفيه . وقد سألتنا عوني عبد الهادي سكرتير الملك فيصل فلم نجد عنده ما يثبت ذلك ولقد نقل صاحب الكتاب المذكور نص اذاعة اذاعتها السلطات الافرنسية في بيروت تكذب ما يشاع من ان ما تم في الشام كان بموافقة فرنسا تكديماً باتاً ، مما قد يدل على ان لما قيل أصلاً بشكل ما وان كنا نستبعد ان يكون غورو قد شجع فيصلاً تشجيعاً صريحاً او ضمناً .

بدماء العرب وثقتهم . والمتبادر أن لقرارات مؤتمر الشام السوري والعراقي
أثراً في التفاهم بين بريطانيا وفرنسا على التعجيل في توزيع الانتدابات ، حتى تصبح
كل منها حرة في العمل في مناطق إنتدابها من جهة ولثلا بطول الأمر فيحدث مالا
يحمدون عقباه في الشام والعراق من جهة اخرى .

وقد أبلغ القرار في اليوم التالي من الجنرال اللنبي الى الملك فيصل مع الاصلاح
عليه بالسفر الى اوروبا ليتمكن من بسط قضيته ، لأن وضعه لا يمكن ان يستقر
الا بواسطة مؤتمر الصلح كما ان رئيس الوزارة البريطانية ارسل اليه بلاغاً يعلنه فيه
قبول فرنسا مهمة مساعدة سوريا وارشادها التي عهد اليها بها مؤتمر الصلح والتي لا
يد منها لها بعد ان لبثت دهرآ طويلاً واضحة للاستعباد ، وخرجت من الحرب
منهوكه القوى . وقد احتوى البلاغ وصف أهل سوريا بالشعوب والامم
فكان لكل ذلك رد فعل شديد في سوريا ؛ فسارع فيصل الى الاحتجاج وأخذ
القائمون بالعهد يعملون جاهدين على تقوية الدعاية العربية ولفت الأنظار الى العهد
الجديد وتوثيق الصلات بينهم وبين رجال الأنحاء السورية الاخرى وهيئاتها من جهة ،
ويتخذون ما يستطيعون من تدابير بسبيل توطيد اركان العهد وتثبيت دعائم الدولة
الجديدة والدفاع عنها من جهة ثانية .

استقالة الوزارة الرطابية وقيام الوزارة الاناسية الدفاعية

ولقد كان ملهوساً منذ الأصل ان رئيس الوزارة لم يكن متحمساً لاي موقف
قوي دفاعي ولم يكن واثقاً في جدوى ذلك وامكانه ، وأن وزارته أضعف من أن
تحمل عبء موقف عصيب . فلم تر الفتاة بدأ من حملته على الاستقالة بالتطابق مع
الملك . ومما وقع ان مؤسسي الفتاة اجتمعوا في بيته واخذوا يوجهون اليه حملاتهم
الانتقادية على مواقفه وتصرفاته وطلبوا منه الاستقالة فاستقال في ٣ مايس ١٩٢٠
واختير هاشم الاناسي خلفاً له (١) . وقد ادخل في وزارته يوسف العظمة وزيراً
للحربية والدكتور عبد الرحمن شهنندر وزيراً للخارجية وكان الاثنان خصاصته

(١) خلف هاشم الاناسي في رئاسة المؤتمر السيد رشيد رضا

يمثلان الفكرة الوطنية المتطرفة والدفاعية . والقى وزير الخارجية بيان الوزارة امام المؤتمر وقد احتوى عهداً بتحقيق قرار المؤتمر باستقلال سورية بحدودها الطبيعية ورفض أي مداخلة اجنبية مع رفض السياسة الصهيونية ، وطالب بعض اعضاء المؤتمر بأن تضيف الوزارة الى عهدها عهداً بالدفاع فسارع الدكتور الى القول ان الوزارة دفاعية وما قامت الا لأجل الدفاع وستدافع حتى النهاية فمنحها المؤتمر ثقته . وقد كان من الخطوات الأولى التي خطتها الوزارة تمشياً مع المهمة التي اخذتها على عاتقها والصفة التي انصفت بها تقرير عقد قرض داخلي والتجنيد الاجباري والسير في تنظيم الجيش سيراً حثيثاً مما أنعش الآمال واثار الحماس . ومن الجدير بالتسجيل انه لم يمض الا وقت قصير حتى اخذ التنظيم يوثي اكله ، فقد اقيمت حفلة استعراض وتسليم علم لاحدى الفرق الجديدة شهدها الملك وكانت تحمل البشري السارة لو فسح الزمن للعهد اكثر بما فسح .

أثر النشاط الجهادي في فرنسا

ولقد قوبل هذا النشاط من الجانب الافرنسي باشتداد التجهم والتوتر وبتقوية المناوأة للحركة والدعوة العربية ، وبالتشدد في العنف والمطاردة ، ثم بتقوية روح العداء ، واثارة المخاوف في نفوس النصارى من المسلمين والعروبة وعهد الشام . ولقد بلغ من تأثير نشاط الدعاية العربية ان اقدم بعض خطباء المساجد في بيروت على الدعاء للملك فيصل في خطبة الجمعة فقامت قيامة السلطات لافرنسية واعتقلت الخطيب ونفته فكان هذا سبباً للهياج بين المسلمين ووسيلة قوية للدعاية العربية ضد تدخل الافرنسيين في حرية المسلمين الدينية ومساجدهم ، فلم ير الافرنسيون بدءاً من إعادة الخطيب من منفاه والتنصل من التدخل في الامور الدينية .

موانع الجولان وجبل عامل

ولقد كانت الدعايات والتحريضات قد أدت في منطقتي الجولان وجبل عامل المتجاورتين واللتين كانت ثانيتهما تحت الاحتلال الفرنسي وأولاهما تحت الحكم العربي الى بعض الاحتكاكات العدائية بين المسلمين والنصارى فيها فلم تلبث بعد اعلان الاستقلال والملكية ان اخذت تتسع ويبدو على مسرحها بعض صور حرب العصابات من الجانبين نصرانية مسلحة بالسلاح الافرنسي ومدبرة باليد الافرنسية تحت ستار الدفاع عن النفس ورد العدوان ، واسلامية مسلحة بالسلاح العربي ومدبرة باليد العربية بقصد احباط دسائس الافرنسيين وتحريضاتهم وعرقلة اهدافهم فكان هذا من ابرز اهداف هذا العهد والاسباب الداعية الى اشتداد التوتر وخروج الموقف من نطاق الدسائس والمؤامرات الخفية الى أفق العمل الرسمي العنيف .

- ٤ -

الثاني سكة حديد ريبان حلب

وقد كانت الفصائل الافرنسية المحتلة للقسم الشمالي من حلب من اراضي الدولة العثمانية تشتبك مع العصابات التركيبية في اوائل الحركة الكمالية ، وكانت السلطات الافرنسية مضطرة الى امداد فصائلها بالموثون والسلاح ، فرأت أن ترسل امدادها عن طريق سكة حديد ريبان - حلب ، وطلبت من الحكومة العربية أن تسمح بذلك وان تكون قطاراتها مصنونه غير خاضعة للتفتيش في المحطات . وكل هذا الطلب موضع أخذ ورد وجدل بين الحكومة العربية والسلطات الافرنسية في بيروت ، وكان رجال العهد يرون في التسليم بهذا اعترافاً بنفوذ فرنسا وتمتعها بامتيازات عسكرية من جهة ، وتسهيلاً للقضاء على مصدر ازعاج لقوى فرنسية يشغلها عن التفرغ للشام ويجول دون خطوة باغية منها ضد عهدهم من جهة اخرى ، فوقفوا يعارضون تلبية الطلب . وقد رأى فيصل ان يتخذ من الموقف فرصة مساومة فطلب

من الجنرال غورو أن تعترف فرنسه مقابل اجابة الطلب باستقلال سورية التام وبوحدتها الطبيعية وبشكل الحكم الذي قام فيها . فأثار هذا الطلب ثائرة غورو ورفضه ، واقترح على حكومته التفاوض مع الكهاليين الذين اخذوا يوطدوت كلمتهم ويفرضون انفسهم في الاناضول ويرجون بعض المعارك في الجبهة اليونانية ومناطق العصابات الأرمنية وغيرها من مناطق الحركات المضادة التي كانت تغذيها اليد الانكليزية ، حتى تتفرغ القوى الافرنسية وتقوم بخطوتها الحاسمة ضد الشام التي كانت تدير جاهدة في تقوية بنيان دولتها وتعزيز جيشها ووسائل دفاعها الرسمية والشعبية . وقبلت فرنسة الاقتراح وأرسلت مندوبها لتفاوض الكهاليين .

التفاهم الافرنسي الكهالي واثره

وانتهت المفاوضة الى الاتفاق بين الفريقين أخلى الافرنسيون بموجبه منطقة كليكيا (اضنه) ووافقوا على بعض تصحيحات حدودية لصالح الاتراك . ولم يلبث أن اخذ أثر التفرغ يبدو في الحملات التي جهزتها السلطات الافرنسية ضد العصابات العربية حيث انزلت في القرى العربية المشبوهة بالتآمر مع هذه العصابات في جبل عامل ضربات شديدة ، وحيث نجحت في إضعاف حركة هذه العصابات بعض الشيء . ومثل هذا الاثر بدا كذلك ضد الحركة الثورية التي كان يقودها الشيخ صالح العلي على السلطات الافرنسية في جبال اللاذقية منذ اوائل سنة ١٩١٩ نتيجة لعدوان هذه السلطات .

حادث مجلس ادارة لبنانه

وبما وقع في هذه الآونة حادث مجلس ادارة لبنان حيث تمكن بعض العرب القوميين من حمل اكثرية اعضاء مجلس الادارة على توقيع قرار بالمطالبة باستقلال لبنان السياسي واتحاده الاقتصادي مع سورية ، ومن تشجيعهم على السفر الى اوروباعن

طريق الشام للعمل على تحقيق قرارهم . رائد قبضت السلطات الافرنسية على الاعضاء ونفتهم ثم الغت مجلس الادارة بزعم انه لم يستطع أن يقوم بمهمته النيابية . وكان للحادث اثر سيء في نفس هذه السلطات التي اعتبرته حلقة من حلقات النشاط والاكيد والازعاج التي يقوم بها رجال العهد الفيصلي .

- 5 -

مادة فيصل ولفه

ولقد كان فيصل موزع النفس قلق البال منذ بدء العهد الجديد في صدد المستقبل ومدى الانتداب واثردواشند هذا فيه في الآونة الاخيرة، يدل على ذلك خطابه الذي القاه في وليمة افطار رمضان في قصره دعا اليها اعضاء المؤتمر وغيرهم من رجال السياسة والرأي وذوي الشأن ؛ حيث تساءل عن مدى هذا الانتداب واما إذا كان الموقف موثساً لا علاج له الا بالمجازفة ، وأخذ يسكن الحواطر ويبيدي بعض التفاؤل والرجاء ، ويقول اننا لم نحكم بالاعدام فلا ينبغي علينا ان نتصرف كمن هو محكوم عليه به فيجازف بكل شيء ، ويوصي بالجد والرزانة والتروي مع تقوية الحكومة بالمال والرجال . وخطر لباله ان يسافر الى اوروبا استجابة للدعوة الانكليزية الافرنسية السابقة التي وجهت اليه على اثر اعلان الاستقلال والملكية .

تذكير فيصل في السفر الى اوروبا

ومن الواضح ان هذا الخاطر جاء للملك متأخراً وبعد ما بدت آثار تفرغ القوى الافرنسية ، منذرة بالنتائج الوخيمة ، وبعد ما لمس من غورو النيات المرية الباغية التي ظهرت بوادرها في ما كان من تسيير السرايا وضرباتها الشديدة في جبل عامل وجبال اللاذقية ، وفي حشد القوى على الحدود واقامة القواعد الحربية فيها ، فلم يكن ذا جدوى ، فضلا عن انه لم يكن من شأنه تغيير ما تم من اقرار الانتداب الافرنسي واطلاق يد فرنسة في سوريا .

النداء غورو الثفوري

ولقد ارسل الملك نوري السعيد الى بيروت لتهيئة اسباب سفره بالاتفاق مع السلطات الافرنسية فاستنسخ غورو الفرصة وحمل نوري السعيد انداراً شفويّاً للملك يعلنه فيه تعليق الموافقة على سفره على قبوله الانتداب دون قيد وشرط ، وارجاع الجيش السوري الى حاله قبل اعلان الاستقلال والموافقة على احتلال محطات سكة حديد رباق حلب واحتلال هذه المدينة ايضاً ، ويبلغه انه لا يوافق على سفره ما لم تتم هذه التسوية ، وان الحكومة الافرنسية لن تستقبله وتحادثه إذا سافر قبل ذلك عن غير طريق بيروت . وقد ارسل ثاني يوم هذا الانذار بعض الفصائل فاحتلت محطتي رباق والمعلقة .

ولقد سارع الملك فاحتج على الانذار وخاصة على منعه من السفر تلبية لدعوة الحلفاء ، ثم ارسل مذكرة احتجاجية الى الحلفاء و اشار فيها الى تحشيد القوات الافرنسية وحركاتها المريبة . ودعا المؤتمر الوزارة فادلت ببيان عن الموقف مقررة انها مع رغبتها في المسالمة والنواد لن تقبل بأي شيء يمس الاستقلال والشرف الوطني وانها مستعدة للدفاع بكل ما تستطيع من قوة عنها .

النداء غورو الخطي

على ان غورو تابع خطوته فأرسل في ١٤ تموز ١٩٢٠ مع رسول عسكري خاص للملك انداراً خطياً مع مذكرة يناشد فيها اخلاقه ووطنيته بأن يصفى لصوت الحكمة وان يقبل الانذار وان لايسير في معالجة قضيته برأي حكومته التي لا تمثل إلا الاحزاب المتطرفة . وقد كان الانذار طويلاً مرد فيه ما كان من مواقف الشام نحو فرنسا والمنطقة التي تحتلها من رفض الانتداب الى الدعوات والتحريضات العدائية المثيرة الى حركات العصابات الى اضطهاد اصدقاء فرنسا من الدروز وغيرهم وايواء اعدائهم وتأليبهم عليها الى قرار المؤتمر السوري الخ .. ثم انتهى بطلب قبول الانتداب الافرنسي ، والتعامل بالورق النقدي السوري ، ومحكمة مديري العصابات ،

والموافقة على التصرف بسكة حديد وياق - حلب واحتلال محطاتها واحتلال مدينة حلب نفسها ؛ وعين مهلة اربعة ايام لقبول اذاره جملة ، وانذار بأن فرنسا تكون مطلقة اليد في حال رفضه ولا تقع عليها تبعة ما قد يجلب في البلاد من مصائب حيث تقع هذه التبعة على حكومة الشام .

- ٦ -

أثر الانذار وآراء الاحزاب والهيئات

ومع أن هذه العاقبة كانت متوقعة فقد هزّ الانذار الاعصاب والأفكار هزاً عنيفاً بطبيعة الحال ؛ فأعلنت الادارة العرفية لمنع الشعب واليهاب ، واتخذت من جهة بعض التدابير الدفاعية ومن جعلتها تعيين الامير زيد قائداً عاماً وباسين الهاشمي الذي كان قد اعيد من منفاه قبل بضعة اسابيع قائداً لجهة مجدل عنجر الامامية ولدمشق ، واتخذ رجال الحكومة والمؤتمر والفتاة والهيئات القومية الاخرى من جهة ثانية يجتمعون للتشاور والتداول في جو متجه متوتر ، وكان البلاط محور الحركة والاجتماعات .

ولقد انقسم الناس فريقين ، فريقاً يرى ضرورة الجنوح للسلم والتسليم والعمل على تهدئة الحال وتعديل المطالب ، وفريقاً يرى ان الواجب يقضي بالوقوف موقف الدفاع الى آخر امكان . ولم يكن هذا الفريق الذي كان يضم جمهرة اعضاء المؤتمر والفتاة وحزبي الاستقلال والعهد يجهل ان القوة العربية قد تندحر في النهاية ، إلا انه كان يعتقد ان النتيجة واحدة سواء في حالة الاستسلام والخضوع او في حالة الدفاع والاندحار ؛ من حيث وقوع البلاد تحت سيطرة الافرنسيين وتحكمهم ، وان الامر مادام كذلك فالمتسق مع كرامة الامة والقضية وجهاد العرب واهداف الفكرة والحركة العربية ان يكون هذا المصير بالقوة والاكرام وبعد بذل الجهد في الدفاع والوقوف موقف الكرامة والشرف . هذا إلى انهم كانوا يظنون ان في امكان القوى العربية الرسمية ان تصمد مدة ما ، وان في الامكان ايضاً ان تدخل التشكيلات الشعبية الدفاعية في ميدان الجهاد على شكل حرب عصابات ، فيكون

هذا وذاك حركة قوية من شأنها ان تلتفت نظر العالم الاوروبي وان تحمله على التدخل في الأمر وايجاد حل فيه كرامة وشرف . وكان ظنهم هذا قائماً اولاً على ما كان ملموساً من تقزز الافكار الاوروبية من اي حركة عربية جديدة بعد ما قاسى العالم ما قاساه من ويلات الحرب وبلاتها مما ظهر آثاره فيما كان من مواقف فرنسا وايطاليا وانكلترا من الحركة الكمالية ، وثانياً على ما فهموه من وزير الحربية يوسف العظمة من امكان الوقوف مدة من الزمن في وجه الغزاة ، وعلى ما رأوه فيه من عزم وتصميم على الدفاع ، وثالثاً على ما كان قائماً من حركات عربية مسلحة ضد الافرنسيين في الجولان وجبل عامل وجبال اللاذقية وجهات انطاكية وشمال حلب واحتمال توسعها ، ورابعاً على الامل بنجاح ما كان بديء في تهيئته من القوى الشعبية المسلحة في بعض الانحاء ، ولا سيما ان مظامع الافرنسيين في سوريا وعدائهم للحركة العربية وللعهد الفيصلي اشد من ان يؤمن لهم إذا استسلم العرب لهم وخضعوا لحكمهم وانذارهم . وقد اثبتت الحوادث صدق هذه النظرية ، فقد قبل الملك ورجال الحكومة انذار غورو وشروطه الجديدة وسرحوا الجيش فلم يقدم هذا شيئاً ، بل استغله غورو في القضاء النهائي على هذا العهد .

العسكريون وامطاة الدفاع

على ان معظم الرجال العسكريين وفي مقدمتهم ياسين الهاشمي الذي اعتذر بعد قليل عن مهمة قيادة الجبهة اضعفوا بعد اجتماع خاص لهم لإحتال أي نجاح في المقاومة العسكرية ، أو أي إمكان للاستمرار فيها مدة ما بحجة ضعف الجيش العربي عدداً وعداداً بالنسبة للقوى الافرنسية . فكان هذا من مشبكات عزم الملك الذي كان ميلاً من جهة وميلاً الى ايجاد تسوية صالحة بقدر ما يمكن بدون اشتباك حربي من جهة اخرى ، كما اثر في عزيمة رجال الحكومة وفريق آخر من رجال السياسة والمؤتمر ، فتغلبت فكرة المسالمة ومحاولة انقاذ الموقف .

قبول الانذار وانسرع في التقيد

وتقرر قبول الانذار مبدئياً وارسال وفد مؤلف من ساطع الحصري وجميل الايلشي لمقابلة غورو والبحث معه في تمديد المهلة وادخال بعض التعديلات على المطالب ، واعطي جواب الموافقة للمعتد الافرنسي ليبرق به لغورو كما ارسل الملك اليه برقية . وقبل أن يأتي جواب غورو على البرقية صدرت الاوامر بتسريح الجيش ورفع التحصينات الامامية من مجدل عنجر وتوقيف جلسات المؤتمر علامة للمسالمة والتسليم . وكان هذا التسرع خطأ فاحشاً لمس فيه غورو ضعف الملك وحكومته فاستغله في الخطوات التالية كما ادى الى طرود النفور بين الملك وفريق كبير من رجال المؤتمر والفتاة الذين ظلوا يقولون بالمقاومة معها كانت النتيجة وبوحدة النتيجة مع الكرامة والشرف في موافقه دون الاستسلام والخضوع ، وينذرون بسوء نيات فرنسا على كل حال نحو الشام .

هاته اليام العصية في اليام الاخيرة

ولقد كانت الجالة في دمشق في اليام السنة الاخيرة من ايام العهد الفيصلي ١٨ - ٢٤ تموز ١٩٢٠ على أشد ما يكون من توتر اعصاب وبلبله خواطر وهياج افكار واضطراب آراء بما هو طبيعي لأن العهد في اشد معارك فئاته وبقائه .

المؤتمر في ايام الاخيرة

وقد عقد المؤتمر في اليام الثلاثة ١٧ - ١٩ تموز عدة جلسات كان يندد فيها بكل موقف فيه خضوع واستسلام ، ويدعو الامة الى المقاومة والدفاع عن شرفها وكيانها واستقلالها ، ويرسل الوفود لمقابلة الملك . وكثيراً ما احتدم الجدل بين وفود المؤتمر والملك في صدد الموقف . وقد دعا الوزارة اخيراً الى المثول أمامه فلم تأت معتذرة بأنها تنتظر جواب غورو ، وفي مساء يوم ٩٩ تموز جاء

رئيس الوزارة ووزير الحربية الى المؤتمر وتلا الاخير مرسوم الملك بوقف الجلسات وطلب من الاعضاء الانصراف . وكان المؤتمر قد شعر بهذا المصير فقرر في جلسة ظهر اليوم المذكور نص بيان أذاعه احتج فيه على أي موافقة من شأنها الاخلال بقراره الصادر في السابع من شهر مارس - ١٩٢٠ واعلن بطلانها وحمل كل من يندمج فيها المسؤولية تجاه الوطن والأمة ، واكد ان استقلال البلاد بمحدودها الطبيعية استقلالاً تاماً لاشائبة فيه هو المعتبر الذي يظل قائم الحكم لأنه مستند الى حق الأمة المشروع ورغبتها الصريحة الحرة مها حاولت القوة أن تفعله ظمناً وبغياً .

وأخذت تقوم المظاهرات الصاخبة يومياً مطالبة بالمقاومة والدفاع وهاتفة ضد كل تفريط وخضوع . وكانت اللجنة الوطنية محرّكة هذه الحركة الشعبية ومحورها حتى لقد كان من آثار هذه الحركة أن هاجم الجماهير القلعة ، وان استولت على بعض السلاح من المستودعات بحجة التسليح والاستعداد للدفاع ، وان جرت بعض الاشتباكات بين الهاجين وقوى الامن واريقت بعض الدماء . ولا تزال نذكر تلك الليلة الليلية التي وقعت فيها هذه الحادثة وكيف كانت اصوات العيارات تتجاوب في أنحاء دمشق قوية مرعبة .

فلاعب غورو

ومع ان الملك والحكومة بالرغم عن كل ما كان من هياج واحتجاج كانوا قبلوا الانذار وارسلوا وفد المفاوضة الى غورو على ما ذكرنا سابقاً فإن هذا امر جيشه بالزحف مستغلا فرصة ما وآه من الملح وتضعف الأعصاب في الشام ومساعدة المسؤولين الى تسريح الجيش ورفع التحصينات وتوقيف جلسات المؤتمر . ولما اجتمع الوفد به زعم له ان برفية القبول قد تأخرت عن المهلة المضروبة ، وان الجيش بعد ان زحف لا يستطيع أن يقف الا في مكان ملائم من الوجة العسكرية ومن وجهة وفرة الماء .

ونقول استطراداً أن قصة تأخر البرقية حينما سمعت بدت لغزاً حتى لقد ثارت الشبهات ضد دائرة البرق وكان يتولى مديريتها حسن الحكيم . غير أن التحقيق

أثبت أنها أعطيت فوراً لقر غورو بما دل على أن دعوى غورو إنما كانت لعبة القوي القادر الذي لا ضمير له مع الضعيف . على أن الوفد قال لغورو إن الملك قد أرسل إليه برفقة خاصة بالقبول وإنه اجاب عنها ، فعمد الى نفس اللعبة قائلاً إن برفقة الملك لم تكن تحتوي إخباراً بتنفيذ الشروط واحداً واحداً لأنه إنما كان ينتظر ذلك ؛ مع انه رأى ان حكومة الشام قد اخذت في تنفيذها ، بل ونفذت أشدها خطورة أي تسريح الجيش ورفع التحصينات وسحب القوى الامامية . ولما طلب الوفد توقيف الجيش حيث هو ابي إلا بشروط جديدة قال عنها إنها ضمانات لشروطه الاولى من جعلتها أن نذيع حكومة الشام بياناً تعذر فيه الزحف الافرنسي وأن تجمع السلاح من ايدي المسرحين والأهالي ، وان تقبل فوراً بعثة إفرنسية تشرف على تنفيذ الشروط الاولى وعلى نزع السلاح وجمعه ، وتؤسس فروع المراقبة الافرنسية الانتدابية للشؤون العسكرية والادارية والاقتصادية والتعليمية وقد احتوت الشروط الجديدة فيما احزته فقرة نجعل الافرنسيين احراراً في الحركات في اي مكان إذا لم تنفذ مادة ما من الشروط او إذا بدا أي موقف خصومة للجيش الافرنسي . ومع ان الوفد استطاع ان يمدد المهلة ليلبغ الشروط الجديدة فإنه رجع وهو مقتنع بأن غورو قد صمم نهائياً على احتلال الشام والقضاء على العهد القائم فيها .

وقد كان الملك حائراً خائراً ، فكر في الدفاع والمقاومة حينما رأى من غورو ما رآه من تعنت وتعسف ومراوغة ، ولكنه لم يلبث أن صدمته حقيقة اضاعته فرصة المقاومة الرسمية بتسريحه الجيش وسحبه القوى الامامية ورفعته تحصينات مجدل عنجر ، ثم النفور والفتور اللذان احدثهما قبول الانذار في الشعب ورجال المؤتمر والفتاة ، فعاد يهرق الى غورو يعلنه قبول شروطه الجديدة ايضاً ويناشده توقيف الزحف ومنع البلاء والكارثة عن البلاد ، واستمر هذا في غلوائه ومراوغته لشعوره بسيطرته على الموقف ، وكان بما طلبه اخيراً ان يكون مركز توقف الجيش خان ميسلون بدلاً من الموقف الأول الذي وافسق عليه بحيث تصح دمشق في متناول يده في أي لحظة أراد .

العودة الى الدفاع اليأس

وحينئذ ايقن الملك أن الأمر قد انتهى وان الافرنسيين قد عزموا على خطوتهم الحاسمة الباغية ، فأعلن العزم على الدفاع والمقاومة ودعا الناس الى ذلك ، وانبتت الدعوة الى التطوع والتجشد في ميسلون ، واخذت الجهود اليائسة تبذل في لمّسات المسرحين من الجيش وتسليحهم وحشد ما يمكن حشده من الشعب .

وانشئت بعض الدوائر الحربية والتموينية والمنزلية على وجه السرعة . ومع فوات الفرصة وفقدان الأمل اثمرت تلك الجهود بعض الثمرات حيث اخذ الناس يستجيبون إلى داعي الدفاع ويتجهون نحو ميسلون يحملون مختلف الاسلحة الصالحة وغير الصالحة . وذهب يوسف العظمة الى ميسلون لتهيئة ما يمكن من اسباب المقاومة وقد رأى الذين ودعوه في هذه اللحظة الرهيبة عزم الموت بادياً عليه ، حيث أيقن أن المعركة خاسرة ، ولكنه وقد كان من أقوى الذين قالوا بالمقاومة وامكانها مدة من الزمن منفردا في ذلك عن معظم العسكريين فقد أدرك أن شرفه العسكري والشخصي اصبح يتطلب منه تضحية نفسه ليسجل بذلك مع من يضحون بأنفسهم من مواطنيه احتجاج الضعيف الصارخ على القوي الباغي .

يوم ميسلون

وفي الرابع والعشرين من تموز ١٩٢٠ ، اشتبكت القوى العربية باشراف يوسف العظمة بالقوات الافرنسية التي كانت تفوقها كثيراً بالعدد والعدد والنظام والقيادة فاضطرت الى الارتداد مكبدة العدو بضع مئات من القتلى ، وتاركة في الميدان كذلك بضع مئات من الشهداء وفي مقدمتهم وزير حريستهم وقائدهم الباسل فبلغوا بشهادتهم ذلك الهدف الاحتجاجي النبيل ، وكتبوا بدمائهم سطرأ من نور في تاريخ الحركة العربية والكرامة العربية .

ولم تلبث أخبار الانكسار المتوقع ان انتشرت ، فساد الهرج والاضطراب وانطلقت الاشاعات لتزيد الاعصاب توتراً والافكار بلبلة .

الاتجاه نحو الجنوب

وفي هذه الاثناء كان كثير من رجال العهد القوميون رسميين وغير رسميين شاميين وغير شاميين يغادرون دمشق على قطار اعد لهم متجهين نحو الجنوب حيث كانت النية اتخاذ مركز هناك للحكومة والمقاومة لان سقوط دمشق اصبح امراً مفروغاً منه . وقد غادر الملك وبعض اعضاء حكومته دمشق في هذه الفعرة الى الكسوة حيث يرقبون الحوادث وتحلف بعضهم ، ورفع هاشم الاتاسي استقالة وزارته الى الملك فرأى أن يعهد بتأليف الوزارة الجديدة الى علاء الدين الدروري الذي كان من المتخلفين والذي لم يكن منها بتطرف ما على أمل أن يكون وسيلة تقام مع الافرنسيين ، وادخل هذا في وزارته ثلاثة من المتخلفين المعتدلين كذلك كما ادخل بعض العناصر المعتدلة الاخرى . وكان الملك ارسل نوري السعيد اى عاليه - مقر غورو - والأمير عادل ارسلان الى حيفا - مقر النبي - لبذل ما يمكن بذله من جهد ، وجاءت الى الملك اخبار بعنت فيه بعض التفاؤل وجعلته يعود الى دمشق ولكنه لم يلبث أن واجه الحقيقة الاليمة حيث كان قائد الحملة الافرنسية اذاع نشرة اعلن فيها انتهاء حكم فيصل ، وحيث ابلم ذلك الملك بكتاب خاص وطلب فيه منه مغادرة دمشق على قطار أعدله في الصباح الباكر من يوم ٢٨ تموز فاحتج على ذلك وغادر دمشق الى درعا حيث كان ينتظر جل الذين غادروا دمشق قبله من رجال العهد والمؤتمر والحكوميين .

بأس فيصل واتجاهه نحو اوروبا

ولقد كان مما تقرر كما قلنا أن تتخذ نقطة في الجنوب في حوران أو شرق الأردن مركزاً للحكومة والمقاومة ، وشعر الافرنسيون بذلك فألقوا من طياراتهم نشرات تنذر الحورانيين وتخوفهم ، وأمروا الدروري بالابراق الى الملك ليغادر البلاد ويجنبها الولايات ، فزاد هذا في توتر اعصاب الملك ويأسه ، ولقد اقترح عليه الاتجاه نحو شرق الاردن ولم شعته هناك ولكنه كان كما قلنا قد فقد الأمل في نفسه وفي الشعب

معاً فلم تلبث ان تغلبت عليه فكرة الاتجاه الى فلسطين فأوروبا وان نفذها بالسفر الى حيفا بعد التقام مع السلطات الانكليزية فيها . وحينئذ اخذ الذين كانوا في درعا يتفرقون بدورهم ايضا فمنهم من سافر الى حيفا فمدن فلسطين الاخرى أو مصر او أوروبا ، ومنهم من قصد عمان وانحاء شرق الاردن الاخرى .

وهكذا انتهى هذا العهد الذي دام نحو سنتين ونصف والذي بدأ والنفوس جياشة بعظام الآمال وانتهى بتحطيمها تحطيماً موجعاً ...

وبما يحسن قيده ان القوات الافرنسية لم تتجاوز في انتشارها جنوب حوران ، ولم يلبث الناس ان رأوا اصبع الانكليز تبدو واضحة في شرق الاردن ، حيث كان ضباطهم يتجولون فيها ويعقدون الاتفاقات مع شيوخها ، وحيث جاء بعد قليل المندوب السامي في فلسطين بزيارة رسمية الى مدينة السلط والقي خطاباً استدل به على أن هذا القسم من سورية قد دخل في نفوذ بريطانية وانتدابها ، وكان ذلك ثمن خيانة الانكليز لصديقهم وابن صديقهم وحليفهم ، واخذت منذئذ الصلات تتوطد بين حكام هذا القسم الذين كانوا يمثلون حكومة الشام وبين الادارة البريطانية في فلسطين ، وذلك قبل قدوم عبد الله بن الحسين الى معان و عمان .

كذلك مما يحسن قيده ما أثر عن وقفة غورو عقب دخوله دمشق أمام قبر صلاح الدين وهتافه به « إنا قد جئنا ثانية ولن نعود » كأنه أراد أن يربط بين حركته والحركة الصليبية ويجعل حركته حلقة من حلقات حروبها بما ينطوي فيه معان اليه ووقاحة سمجة ابي الله الا أن يخزيه فيها في النهاية وبعد ربع قرن من هذا الموقف حيث جلا الافرنسيون عن سورية وجاوا جلاء كاملاً مدحورين مذمومين . والله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله . . .

أثر انهيار العهد في الحركة العربية

ومن تحصيل الحاصل أن نقول أن انهيار عهد فيصل كان صدمة شديدة في تاريخ وطريق الحركة العربية ، متناسبة مع خطورة هذا العهد التي تكشفت فيه حركة الأمة العربية وآمالها على نجاحه في صدق تحقيق أهداف الفكرة العربية ، وكان هذه الصدمة اثر قوي متنوع المظاهر في سائر أنحاء البلاد العربية العثمانية التي كانت مجال تلك الحركة ومنبت هذه الفكرة .

ولقد انتثر عقد رجالات الحركة المنظوم ففرقوا ايدي سبها ، وحرموا من المجال الحر الذي امكن ان يكشفوا فيه جهودهم في سبيل تحقيق اهداف الفكرة ، سواء بالنسبة لسائر الاقاليم الشامية أو العراق ، بل والذي استطاعوا ان يجعلوا فيه لهذه الجهود آثاراً واصداء ظاهرة وملحوسة في هذه الاقاليم . ولم يعد يتيسر لهم بعده جو مماثل لتنظيم عقدهم وجمع شملهم واستئناف جهودهم مجتمعين متضامنين . وما بدا من يرق لمع في عمان امدأ قصيراً وجعل بعضهم يتهاوون اليه ويظنون فيه عوضاً عن المجال الحر الذي حرموه ومر كزأ يمكن تكثيف الجهود ونظم العقد فيه لم يلبث ان خبا ، فكان من امر اكثرهم أن التحقوا ببلادهم الخاصة واندجوا في مشاكلها المحلية ، ووجهوا جهودهم النضالية ضد المحن التي هيئت لكل بلد من هذه البلاد والمشاكل التي جعلت لها شغلاً خاصاً تستنفد قوى ابنائها وتصرفهم عن التفكير خارج نطاقها .

وهكذا اخذت الفكرة العربية والحركة في سبيلها ثمران في ادوار امتحان ومحن صعبة قاسية ، واخذ يقام ويقوم في وجهها التيارات المعاكسة والحركات المناوئة التي اعاقت سيرها وبدلت او كادت تبدل اتجاهها ، واضاعت على الأمة العربية اوقاتاً ثمينة وجهوداً عظيمة بذلت في حركات سلبية دفاعية كان من الممكن أن تصرف فيها هو ايجابي وانشائي ، وكان من الممكن ان يتحقق بها كثير من الاهداف المنشودة لو لم يغدر بالعرب حلفاؤهم .

ولا نعي بالطبع ان هذه المحن والتيارات والمناورات قد حدثت بعد انهيار عهد فيصل او بسبب هذا الانهيار ، فقد كانت في الحقيقة قائمة وكانت في سبيل الحركة والحركة ، وانما نعي ان عهد فيصل كان مجالا حراً لتكثيف الجهود والقوى ، ومركزاً لتغذية الحركات النضالية التي بدأت ضد هذه المحن والتيارات والمناورات ، وناظماً لهذه الحركات وموجهاً لها في اتجاه موحد وسبيل قضية واحدة ، وان هذه المحن والتيارات والمناورات اشتدت وقويت بعد الانهيار من جهة ، وجعلت القضية العربية الواحدة في الاهداف قضايا عديدة ومعقدة ومطبوعة بشيء من الطابع الاقليمي والمحلي من جهة ثانية حتى صار تحويلها الى اصلها من الصعوبة بمكان . وهذه نقطة خطيرة في تاريخ الحركة العربية .

اسباب رئيس الانهيار

وغني عن البيان ان انهيار هذا العهد يرجع في الدرجة الاولى وقبل كل شيء الى غدر الحلفاء وما بيتوه للعرب وبلادهم وبلاد الشام خاصة من نيات استعمارية وتسلطية . ولو انهم اخلصوا بعض الشيء ووفوا للعرب بعض الوفاء بعد الحرب وجنحوا الى تبادل المنافع معهم كأصدقاء احرار لا كأصدقاء عبيد مستعمرين لما كانت هذه الفاجعة وما تبعها من فواجع ومأس . وتبعة الانكليز اشد التبعات ، لأنهم استغلوا ثقة العرب وفضل بهم تلك الثقة الكبرى التي وصلوا فيها الى ان كان كل معولهم عليهم الأم استغلال ، واتخذوا منهم وسيلة مساومة دنيئة حتى اذا نالوا من فرنسا بغيتهم نبدوهم وقطعوا بهم الحبل واطلقوا يد فرنسا الباغية فيهم لتنتقل يدهم في العراق وانحاء الشام الجنوبية .

ومن الاسباب التي يمكن ان تذكر في هذا الصدد عدم انتظام واستمرار قوى الثورة العربية حيث كان هذا عاملاً كبيراً على ما شرحناه في مناسبة سابقة . ومن الاسباب المهمة ايضاً عدم تحلي فيصل اذ ذاك بصفات الزعيم القومي الناضج الالمني المؤمن بزعامته وقوته والواثق بنفسه وشعبه ، والذي ينفخ فيمن حوله القوة والايام

والخزم والاقدام او يحملهم على الفناء فيه والانصياع لما يقول، وكان التردد والشعور بالضعف والحاجة الى الغير وعدم الثقة بالشعب وامكانياته والعمل الجد في طريق ذلك من الصفات التي يلمسها فيه الاصدقاء والاعداء معاً . ومن الاسباب التي يجب أن تذكر عدم النضوج في رجال الحركة والعهد ، ولو أنهم لا يحملون كل تبعته ، وانما يحمل الزمن شيئاً كثيراً منها . لان الوقت الذي مر بين سير الحركة وعهد التجربة الفيضلي كان قصيراً جداً لا يعقل ان ينتج منه نضوج كاف يستطيع ان يضمن نجاح حركة امة ضعيفة مفككة الاوصال موزعة الاهواء والافكار والميول فقيرة في كل شيء مرتكسة في الجهل التام ، مضى عليها قرابة الف عام وهي في سبات عميق فقدت فيه كيائها وخدمت حيويتها واستنامت لتسلط الغير واندجبت فيه ، ثم فوجئت بما فوجئت به من مختلف التيارات والدسائس والمؤامرات التي حاكها رجال دولتين عظيمتين لها قدم ثابتة في التلاعب بالأمم والاساليب الاستعمارية ، وفقدتا كل حاسة تستمع للحق وتشعر بالشرف والوفاء والحياء وتجنح الى قضاء مصالحها عن طريق المنطق والصدقة والقصد بدلا من البغي والعدوان .

وانه ايا يجز في النفس ويؤلمها اشد الألم أن العرب على مختلف أقطارهم لا يزالون في نفس الموقف اليوم ، وان ما حل فيهم من نكبات ومرت بهم من تجارب ومضت عليهم من سنين طويلة في النضال والممارسة لم تكف لايجاد النضوج وخلق الزعامات المنشودة فيهم .

تفصيل مواد الكتاب

المدخل

اهداف الفكرة العربية - اولى هذه الاهداف - عناصر القضية العربية وقوتها في الوطن العربي - استدرجات وتعليقات وردود في صدد ذلك - استطراد الترقية الى اليهود واليهودية - شمول نظرية القومية العربية الحديثة .

الفصل الاول

انبعاث الحركة العربية الحديثة وأدوارها في عهد الدولة العثمانية ، بدء الانبعاث قبل الدستور العثماني ومداه - الانبعاث الصحيح بعد الدستور - اثر الحركة التركية - البلاد العربية قبل الدستور .

دور الحركة العربية الأولى ١٩٠٨-١٩١١ ومظاهره - الاخاء العربي - الشباب العربي في الامتانة - المنتدى الادبي - الكتلة النيابية العربية .

الدور الثاني ١٩١٢ - ١٩١٥ ومظاهره - الجمعيات السرية - جمعية الفتاة - جمعية العهد - منهج الفتاة في السرية والتأليف - اسماء اعضاء الفتاة في زمن الدولة العثمانية . جمعية العهد واسماء اعضائها - الحركات السياسية العلنية وظروفها ومداهها حزب الامر كزية - الجمعية الاصلاحية - مؤتمر باريس - اثر هذه الحركات - الحركة العربية ومخنتها بعد اعلان الحرب - الديوان العربي - التشريد - طغيان جمال - الشيوخ والشباب في الحركة العربية - العبرة لشباب اليوم .

الدور الثالث ١٩١٦ - ١٩١٨ دور الثورة - عوامل الثورة - اهداف الثورة - اثر رجال الحركة العربية فيها - اثر ضعف البنية العربية في نتائج الثورة - اثر الثورة في الحجاز - الحملة الشمالية تحت لواء فيصل .

الفصل الثاني

الحركة العربية في عهد جديد - خطورة عهد الشام - الحكم العربي في الشام
جمعية الفتاة في العهد الجديد - الاعضاء الجديدون - حزب الاستقلال - جهات
ونقاط ضعف في الفتاة - الزعامة وخطورتها - الحملات على الفتاة - حزب العهد -
حزب اللامركزية - حزب الاتحاد السوري - النادي العربي - فيصل امام مؤتمر
الصلح - لجنة الاستفتاء في فلسطين - المؤتمر السوري وكيانه - لجنة الاستفتاء في
سورية ولبنان - قرار المؤتمر وتعليقات عليه - التشاؤم بين الانكليز والافرنسيين
لجنة الدستور في المؤتمر - تصفية الخلاف بين الحلفاء - استبدال الحاميات - فيصل
في لندن وباريس - جلاء الانكليز عن الشام - خطف ياسين الهاشمي وشخصيته -
اللجنة الوطنية - المؤتمر والدفاع - اتفاق فيصل كلمنصو - مواقف مختلفة من
الاتفاق - اعلان الاستقلال والملكية - المؤتمر السوري في العهد الجديد - المؤتمر
العراقي في الشام - تعليقات حول رفض اتفاق فيصل كلمنصو - توزيع الانتدابات
واثره - حوادث الجولان وجبل عامل - مسألة قطار رباق - حلب - التصفية بين
فرنسه والكماليين وهدفها واثرها - حادث مجلس لبنان - فيصل ورغبته في الرحلة
الى اوروبا - إنذار غورو واثره - رأي العسكريين - قبول الانذار والعجلة في
التنفيذ - الشام في الأيام الستة الأخيرة - المؤتمر ووقفه - اضطراب فيصل -
تلاعب غورو - يوم ميلون - الانتقال للجنوب - انتهاء الحكم الفيصلي - اتجاه
فيصل الى اوروبا - تفرق رجال العهد - اثر انهاء العهد الفيصلي - الاسباب
الرئيسية للانهار .



جدول الخطأ والصواب

<u>الصفحة</u>	<u>السطر</u>	<u>الخطأ</u>	<u>الصواب</u>
١٣	٢٥	رينح	تاريخ
٣٣	٦	القوام	التوام
٥٠	١	الثانية وما لمسه	الثانية من إخفاق وما لمسه
٥٤	٢٤	وعمدوا المملكة إلى	وعمدوا إلى
٧٤	٧	يسير غير	غير يسيرة
٨٤	٨	يتبلا	يتبلد
٨٤	٢٥	محاولات	مجالات
٩٦	١٧	انقلبت	انتقلت
٩٧	١٠	الحسنى	الحصنى
٩٧	١٥	العثونى	التهونى
٩٧	١٥	السوري	السودي
١٢٤	٩	أهداف	أحداث
١٢٤	١٧	وكل	وكان

تنبيه مهم : إن محل جملة « وعلى كل حال ... الدائرة بينها » في آخر الصحيفة ٩٩ وأول الصحيفة ١٠٠ يجب أن يكون بعد جملة « ورغبتهم في الاتحاد معه » في الصحيفة ١٠٢